جامعة الأزهر
Al–Azhar University

سبل مواجهة الهزيمة النفسية في السنة النبوية

" دراسة موضوعية"

إعداد
د / إلهام خلف الله يوسف أحمد

مدرس الحديث وعلومه - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ، جامعة الأزهر ، مصر

العام الجامعي : ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢ م

سُبل مواجهة الهزيمة النفسية في السنة النبوية " دراسة موضوعية"

إلهام خلف الله يوسف أحمد

قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: elhamyusuf.79@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يتناول البحث مفهوم الهزيمة النفسية من حيث اللغة، والأصل الشرعي لها، من الكتاب والسنة ، ثم يتناول في مباحثه كيف تمت مواجهة الهزائم النفسية التي تعرضت لها الأمة الإسلامية خلال عدة عقود من الزمن مبتدئة بما واجه به النبي الكريم–صلى الله عليه وسلم– حال حياته في بعض ما تعرضت له تلك الأمة الفتية من هزائم ونكبات كادت أن تعصف بها وتقوض دعائمها، ومنتهية بما واجه به بعض الخلفاء الراشدين الهداة المهديين من بعده –صلى الله عليه وسلم– متوقفة عند عصر الفاروق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وما وقع في عصره من هزائم نفسية للأمة أفرادا وجماعات كان منشؤها ما حل بالبلاد من مجاعة وما وقع من طاعون، وبين هذا وذاك قمت بعرض أكبر وأهم وأبرز النكبات التي تعرضت لها تلك الأمة الفتية ، مركزة على كيفية مواجهتها دون الإسهاب في عرضها أو تفصيل القول في أحداثها ، لأنه ليس من متطلبات بحثي، كما لم يفتني في هذا البحث المتواضع أن أسرد عددا من الهزائم التي قد تقع لبعض طوائف من المسلمين على مستوى الأفراد ، يكون منشؤها غالبا من يحل ببعضهم من رق أو استعباد أو مرض، مدعمة كل ذلك بالأدلة من الكتاب

والسنة النبوية ، وموضحة سبل المواجهة لتلك الهزائم كما وجهتنا سنة نبينا- صلى الله عليه وسلم- وسنة الخلفاء الراشدين من بعده-عليهم رضوان الله تعالى-، وكما أثر عنهم من مواقف إيجابيه في مواجهة تلك الهزائم على أنه لا يخلو سبيل من سبل المواجهة من أحد مسلكين، الأول منهما: مادي ، وتحتاج فيه المواجهة إلى إعداد العدة واستجماع القوى، والثاني: معنوي ، و فيه يحتاج صاحب الهزيمة إلى شحذ همته ورفع روحه المعنوية لمواجهة ما ألم به والتغلب عليه، وقد قمت بعرض ذلك في ثنايا هذا البحث ، ويتضح هذا للقارئ الكريم دون أن يبذل جهدا في استنباطه أو استنتاجه.

الكلمات المفتاحية: سبل، مواجهة، الهزيمة، النفسية، السنة النبوية.

Ways to Face Psychological Defeat in the Prophet's Sunnah
"Objective Study"

Ilham Khalafallah Yusuf Ahmed
Department of Hadith and its Sciences, Faculty: Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag - University: Al-Azhar Al-Sharif, Arab Republic of Egypt.
Email: elhamyusuf.79@azhar.edu.eg

Abstract: This research deals with the concept of psychological defeat in,terms of language and legal origin from the Quran and Sunnah, and then deals in its chapters with how the Islamic Ummah faced the psychological defeats during several decades, starting with what the Holy Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) faced during his life in some of the defeats and calamities suffered by that young nation that almost ravaged it and undermined its pillars, and ending with what some of the righteous caliphs faced after him – peace be upon him –at the time of Farouk Omar Ibn al-Khattab – may Allah be pleased with him – and the psychological defeats that occurred in his time of the nation, individuals and groups, originated from the famine and plague that occurred in the country. Between this and that I presented the largest, the most important and prominent calamities that the nation has been exposed to, focusing on how to face them without elaborating on their presentation or their events details, because it is not a requirement of my research.

I didn't miss in this humble research to list a number of defeats that may occur to some sects of Muslims at the level of individuals, often originating from those who come to each other from slavery, enslavement or disease, supported by evidence from the Qur'an and Sunnah of the Prophet, and explaining the ways of confronting those defeats as directed

by the Sunnah of our Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) and the Sunnah of the Righteous Caliphs after him - may Allah be pleased with them- they had positive attitudes in the face of those defeats as there is no way of confrontation from one of two paths, the first of which is: material, in which confrontation needs to prepare the equipment and gather forces, and the second: moral, and in which the owner of the defeat needs to sharpen his enthusiasm and raise his morale to face and overcome what he suffered, and I have presented this in the folds of this research, and this is clear to the reader without making any effort in deducing or concluding it.

Keywords: Ways, Confrontation, Defeat, Psychological, Sunnah of the Prophet.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رافع الهمم، وخالق الأكوان من العدم، والصلاة والسلام على أشرف الرسل وأعظم الخلق أرسله الحق تبارك وتعالى ليخرج الناس من حالك الظلم، بشيرا ونذيرا وهاديا للأمم.

أما بعد:

فإن الناظر في كتاب الله تعالى بتأمل وعمق ليجد أن عددا لا يستهان به من آيات الكتاب العزيز–جل من أنزله– تناولت قضية الوهن والضعف والعزيمة ورفع همة المؤمنين في غير موضع من مواضع القرآن بل تجاوز ذلك جماعة المسلمين إلى آحادهم

فتجد رب العزة سبحانه يهيب بجماعة المسلمين أن لا يستسلموا لروح الهزيمة والضعف إذا حلت بهم أسبابها ودوافعها، بأن يجعلوا إيمانهم حافزا لقوتهم ومعززا لكرامتهم

قال تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[1]

فإبراز جوانب القوة–وهي هنا الإيمان الراسخ– والتركيز عليها وتوظيفها في العمل والتقدم، هو أساس هذا البناء الشامخ

كما أن المتأمل لسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الشأن ليجد أن مواجهة الهزيمة النفسية منهج له عمق بعيد الأمد ، تجده في تطبيق النبي له على نفسه أولا وقبل أن يستقرأه أتباعه عن جنابه الشريف – صلى الله عليه وسلم –، وقد بدا ذلك واضحًا عقب نزول جبريل الأمين بالوحي الشريف عليه – صلى الله عليه وسلم–

تمثل ذلك في مواجهته ﷺ لضغوط كفار قريش التي مارسوها ضده ،

(١) سورة آل عمران– آية ١٣٩

والتي انتهت بهم أن ذهبوا إلى عمه أبي طالب لكي يساوموه في شأن ابن أخيه حتى بدا للنبي الكريم أن عمه خاذله أو مسلمه وفي هذا الموقف العصيب ما لا يخفى من ضعف العزيمة وانكسار النفس فقام معلم البشرية وخير لبرية تجاه هذا الموقف بأعظم درس قد يعلمه قائدًا لأتباعه ألا وهو مواجهة تلك الهزيمة النفسية والثبات على الحق.

أخرج أبو يعلى في مسنده ، بسنده إلى عقيل بن أبي طالب، قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا فانهه عن أذانا فقال : يا عقيل : ائتني بمحمد فذهبت فأتيته به فقال : يا ابن أخي إن بني عمك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم فانته عن ذلك .

قال : فخلق رسول الله – صلى الله عليه و سلم – بصره إلى السماء ، فقال : أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم قال : ما أنا بأقدر أن أدع لكم ذلك على أن تستشعلوا لي منها شعلة ، قال : فقال : أبو طالب : ما كذبنا ابن أخي فارجعوا"(١)

قلت وعبر عن هذا أصحاب كتب السير بلفظ :" يَا عَمّ وَاَللّهِ لَوْ وَضَعُوا

---

(١) مسند أبو يعلى ١٢/ ١٧٦ح ٦٨٠٤ ،قلت: وإسناده (حسن) ، فيه : يونس بن بكير بن واصل الشيبانى، قال الحافظ ابن حجر: صدوق يخطىء، وقال الذهبي : الحافظ، قال ابن معين : صدوق. وقال أبو حاتم: محله الصدق . التهذيب ٢٦٥/٣٧ ت ٨٤٤، ميزان الاعتدال ٤٧٧/٤ت٩٩٠٠ ، وفيه: طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى المدنى، قال ابن حجر: صدوق يخطىء ، وقال الذهبي : وثقه جماعة. التهذيب ٢٧/١٨ت٤٥ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٥/٦رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله ورجال أبي يعلى (رجال الصحيح).

وقال حسين سليم أسد : إسناده قوي، وأخرجه: البزار ١١٥/٦ ح ٢١٧٠ من مسند عقيل بن أبي طالب، والبيهقي في دلائل النبوة ١٨٧/٢، والحاكم في المستدرك ٥٧٧/٣، ورواه الطبراني في الأوسط ٢٥٢/٨، بلفظ أبي بعلى.

الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُه"(١)

كما يصف لنا حال النبي ﷺ وأبو بكر الصديق –رضي الله عنه– في قوله تعالى: (..ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)

فحينما دعم النبي الكريم ﷺ جانب المعية في موقفه مع أبي بكر الصديق، كان هذا دافعا قويا للثبات والصمود أما مطاردة صناديد الكفر

بل إن الحق تبارك وتعالى حينها أنزل السكينة على قلوبهم ، بل وزاد على ذلك أن أنزل جنودا لم يراها العدو، فصارت نصرة الحق تبارك وتعالى هي الجائزة الكبرى ، إزاء ثقتهم في موعود الله تعالى بالنصرة لمن كان هذا حاله مع الله.

قال الإمام القرطبي: (.. قال موسى – عليه السلام– : {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}(٣) وقال في محمد – صلى الله عليه وسلم – : {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (٤) لا جرم لما كان الله مع موسى وحده ارتد أصحابه بعده ، فرجع من عند ربه ووجدهم يعبدون العجل. ولما قال في محمد – صلى الله عليه

---

(١) سيرة ابن اسحق ١٣٥/٢، قلت: و إسناده إلى ابن اسحق (ضعيف) معضل ،فيه: يعقوب بن عتبة وهذا من ثقات أتباع التابعين مات سنة ١٢٨هـ ، ولكن للحديث طرقا أخرى بسند (حسن) ،كما أوضحت في تخريجه عند أبي يعلى آنفا ، وانظر: الروض الأنف٦/٢،السيرة النبوية لابن هشام١٠١/٢، دلائل النبوة للأصبهاني ١٩٧/١، والبداية والنهاية لابن كثير٤٨/٣،

(٢) من سورة التوبة – آية ٤٠

(٣) سورة الشعراء – آية ٦٢

(٤) سورة التوبة – من آية ٤٠

وسلم- {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} بقي أبو بكر مهتديا موحدا عالما جازما قائما بالأمر ولم يتطرق إليه اختلال.) (١)

كما دعى نبينا الكريم- صلى الله عليه وسلم- في مواطن كثيرة من سنته الشريفة إلى لزوم القوة وعدم الاستسلام للضعف أو الوهن.

أخرج مسلم في صحيحه، بسنده إلى أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ »(٢).

قال الإمام النووي :(والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف اكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك) (٣).

وقال أيضا: (قوله ﷺ (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) أما احرص فبكسر الراء وتعجز بكسر الجيم وحكي فتحهما جميعا ومعناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١٤٧/٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: القدر- باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٥٦/٨رقم ٦٩٤٥، وأخرجه: ابن ماجة في سننه ، كتاب: الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: في القدر ٣١/١رقم ٧٩

(٣) شرح النووي٢١٥/١٦

الإعانة) [١]

وقبل أن أشرع في سرد – الحديث عن – سبل مواجهة تلك الهزيمة وطرق علاجها لابد أولا أن أعرف بمفهوم الهزيمة والمقصود منه هنا حتى يتسنى للقارئ الكريم تحديد الدائرة التي أستعرض فيها بحثي المتواضع ، فأقول وبالله التوفيق:

الهزيمة في اللغة: تدور حول معني واحد ، وهو: الغمز والكسر ، وهَزَمَه يَهْزِمُه فانْهَزَمَ : غَمَزَه بيدِه فصارَتْ فيه حُفْرَة [٢].

والهَزائمُ : البِئَارُ الكثيرةُ الغُزْرِ، والدَّوابُّ العِجافُ الواحدةُ : هَزيمةٌ، واهْتَزَمَتِ السَّحابةُ بالماءِ وتَهَزَّمَتْ : تَشَقَّقَتْ مع صَوتٍ ، والهزيم السحاب المنشق بالمطر وكذلك هزيمة القوم تشققهم وتكسرهم [٣] ومنها الهزيمة في المعركة والهزيمة النفسية وغيرها[٤]

وأما عن النفس فقد وردت في القرآن والسنة بمعان كثيرة [٥] والذي يتسق منها مع مقصود البحث هنا، هو ما يأتي:

---

(١) المصدر السابق

(٢) القاموس المحيط ١٥٠٩/١

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢٠٨/١، تاج العروس من جواهر القاموس ٩٣/٣٤

(٤) القاموس المحيط ١٥١٠، الاشتقاق٢٩٤/١، المعجم الوسيط٩٨٥/٢

قلت: وقد قصدت من عنوان بحثي هذا المفهوم اللغوي لمعنى الهزيمة، الذي يدور حول الضعف والانكسار أمام حدث معين ، أو واقع معين، دون المعنى الاصطلاحي الذي تناولته دوائر العلوم الأخرى ، من علوم النفس والاجتماع أو الدراسات الإنسانية بصفة عامة.

(٥) وقد استطعت بفضل الله ومنته أن أحصل على مؤلف لطيف اشتمل على كل تلك المعاني وأصلها الشرعي من الكتاب والسنة. وهي بعنوان: (رسالة شريفة لمعاني النفس النفيسة)، تأليف: عبد الله بن عثمان بن موسى الرومي ، المعروف بمستجي زاده (ت ١١٥٠ هـــ)، تحقيق: مكتب إحياء التراث الإسلامي ، بمشيخة الأزهر الشريف. شعبان ١٤٤٢هـــ، مارس/أبريل ٢٠٢١م.

هو أنه يجئ بمعنى:" أمر موجود في بدن الإنسان" جبل على الشر والفساد وتحريض صاحبه وإغرائه على القبائح والفضائح ، وتثبطه عن الأعمال الصالحة"[١] ، وهو المذموم من بين ما صدق عليه "النفس"؛ وهو الذي أمر العباد أن يتخذه عدوا ويجاهده[٢] مجاهدة الأعداء الظاهرة، بل أشد؛ حتى يقال له: "الجهاد الأكبر"، وأمروا أن يخالفوه مخالفة أكيدة ؛ حتى إن تشرف الإنسان –بتشرف الزلفة والكرامة عند الله تعالى – بمخالفته إياه وعدم مساعدته إلى ما تدعوه.

قال تعالى حكاية عن سيدنا يوسف –عليه السلام– ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ.. ﴾[٤]

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُم..﴾[٥]

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٦]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[٧]

---

(١) معاني القرآن للفراء ١٨٩/٢، جامع البيان ١٤٢/١٦/ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٢١١١/٧.

(٢) كذا في يتخذه ويجاهده، بإسناد الفعل لضمير المفرد الغائب؛ فاحتمل أن المراد "جمعهم" أو : " كل واحد منهم " . واحتمل الرسم الاجتزاء بالضمة عن واو الجماعة؛ على لغة هوازن ، وهذيل وعليا قيس ، وغيرهم . راجع معاني القرآن للفراء ٩٠/١، ٩١ .

(٣) سورة يوسف – آية ٥٣، وراجع إصلاح الوجوه والنظائر ص٤٦٢، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٢٢٣٨/٤

(٤) سورة يوسف – آية ١٨، وراجع معاني القرآن وإعرابه ١٢٥/٣

(٥) سورة إبراهيم – آية ٢٢

(٦) سورة طه – آية ٩٦، وراجع : معاني القرآن للفراء ٢ / ١٨٩

(٧) سورة غافر–آية ١٠، وراجع: التحرير والتنوير٩٥/٢٤

وقوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [١]: نزلت في عدي بن ربيعة بن أبي سلمة الثقفي؛ كفر بالبعث ، وكان ختن[٢] الأخنس بن شريق [٣]

فالمراد من لومها: هو لومها على نفسها في الآخرة ؛ بسبب كفرها وشركها وإنكارها للبعث ، ومخالفة الرسول في دار الدنيا

وإن كان المراد بها: "نفس المؤمن " ؛فالمراد من لومها :هو لوم صاحبها في الدنيا على تقصيرها في طاعة الله تعالى، وعلى تقصيرها في اجتنابه عن المنهيات [٤] ؛فلم يكن النظم الشريف –حينئذ–مثالا لما نحن فيه بل يكون مثالا للثاني[٥] أو الثالث[٦].

---

(١) سورة القيامة–آية ١، ٢، وراجع: معاني القرآن للفراء ٢٠٨/٣، التحرير والتنوير ٣٣٨/٢٩

(٢) الختن :كل من كان من قبل المرأة ؛ مثل الأب والأخ .راجع : "الصحاح" للجوهري : ٥/ ٢١٠٧

(٣) راجع: تفسير مقاتل بن سليمان، ٥٠٩/٤–٥١١، أسباب النزول للواحدي ٤٤٨

(٤) الكشف والبيان ٨٢/١٠

(٥) يقصد بالثاني أي أحد معانى النفس وأنه يجئ : بمعنى(الروح الإنساني) وهو الجسم اللطيف الحال في البدن ، عند جمهور المتكلمين وأهل الحديث ، قال تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي) سورة الفجر ٢٧–٣٠، وراجع: التحرير والتنوير ١٤٣/٣٠، مشارق الأنوار للقاضي عياض ٢٢/٢، ١٩٦/٤، لسان العرب لابن منظور ٢٣٤/٦

(٦) في أنه يجئ بمعنى: (باطن الإنسان)؛ مثل "الصدر والقلب" وما يشاكلهما من المدارك. ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)سورة البقرة– آية٢٨٤ ، وراجع: بحر العلوم للسمرقندي ١٥٥/١، ٢١٣، الكشف والبيان للثعلبي ٢٩٩/٢؛٥٤٥/٧، تفسير القرآن للسمعاني: ١٠٦/١، وروح البيان، للآلوسي٣٦١/١٠

قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ (١)

قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (٢)

ومن كلام سيد المرسلين في هذا المعنى من معاني النفس :

أخرج البخاري في الأدب المفرد ، بسنده إلى أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِى إِلَى نَفْسِى طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِى شَأْنِى كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ »(٣).

وأخرج أبو داود في سننه ، بسنده إلى أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِى بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ :

---

(١) سورة المائدة–آية ٣٠، وراجع: تأويلات أهل السنة ٥٠٠/٣

(٢) سورة الزمر–آية ٥٦، وراجع التحرير والتنوير ٤٥/٢٤، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٢٢٣٨/٤

(٣) الأدب المفرد ، باب: ما يقول إذا أصبح ،٢٤٤/١ رقم ٧٠١، وإسناده: (حسن)، فيه : عبد الجليل بن عطية القيسى ، أبو صالح البصرى، قال الحافظ ابن حجر : صدوق يهم، التهذيب ١٠٦/٢١ت ٢١٦ ، وقال الذهبي: صدوق ، ميزان الاعتدال ٥٣٥/٢ت ٤٧٥٠ ، وفيه : جعفر بن ميمون التميمى ، قال الحافظ ابن حجر : صدوق يخطىء، التهذيب ٧٢/٧ت ١٦٦ ، وأخرجه: الحاكم في المستدرك ٧٣٠/١ رقم ٢٠٠٠ ،بلفظ : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لفاطمة :" ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت و إذا أمسيت ياحي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله و لا تكلني إلى نفسي طرفة عين " وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه، (بجملة : وَأَصْلِحْ لِى شَأْنِى كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين، قال الحافظ فى " الفتح " ١١ / ١٤٨: (صححه ابن حبان)،

وأخرجه: بلفظ البخاري في الأدب ، أبوداود في سننه ، كتاب: الأدب– باب: مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ ٧٤٥/٢رقم٥٠٩٠، قلت: وإسناده (حسن) ، وأحمد في مسنده ٤٢/٥ رقم ٢٠٤٤٧، كما تبين من دراسة إسناد الأدب المفرد.

« قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَىْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِى وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ (١) ». قَالَ « قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ »(٢).

قال المباركفوري : (أعوذ بك من شر نفسي أي من ظهور السيئات الباطنية التي جبلت النفس عليها ومن شر الشيطان أي وسوسته وإغوائه وإضلاله) (٣).

وعلى ما سبق يمكن تعريف الهزيمة النفسية، بأنها: مصطلح مركب يقصد به انكسار إرادة النفس أمام حدث معين، أو واقع معين، أو فكر معين، أو ظاهرة معينة، بحيث لا تقوى على مجابهته.

وبعبارة أوسع مما سبق فهي –أي الهزيمة النفسية– شعور الإنسان بالعجز وضعف الإرادة عن النهوض بنفسه لتغيير ما يحيط به من ظلم أو اضطهاد ، والانكسار أمام ضغط الواقع إذا كان مخالفا لمبادئه أو يقع عليه ظلم منه. وهذه الحالة المتردية تصبح أكثر خطرا وأشد فتكا خاصة إذا انتقلت من مستوى الفرد إلى مستوى الجماعة فتشمل شريحة اجتماعية كاملة فرضت المصالح المشتركة بينها الارتباط بهذا الواقع الأليم . أ، هـ

---

(١) وشركه بكسر الشين وسكون الراء أي ما يدعو إليه من الإشراك بالله ويروى بفتحتين أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس والإضافة على الأول إضافة المصدر إلى الفاعل وعلى الثاني معنوية والعطف على التقديرين للتخصيص بعد التعميم للاهتمام به قله أي قل هذا القول. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي٩/٢٣٧

(٢) سنن أبو داود ، كتاب: الأدب– باب: مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ٤/٤٧٦ح٥٠٦٩، وإسناده (صحيح)، وأخرجه: الترمذي، في سننه، كتاب: الدعوات–باب: منه ٥/٤٦٧ح٣٣٩٢، وقال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن حبان في صحيحه، كتاب: الرقائق–باب: الأدعية٣/٢٤٢ح٩٦٢

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي٩/٢٣٧

بتصرف[١]

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذا الموضوع في حاجة الأمة – بل والفرد المسلم – اليوم إلى رفع الهمة وشحذ الروح المعنوية لتشتد يوما بعد يوم، وخاصة في تلك الآونة التي اشتد فيها البلاء حسا ومعنى.

وقد كان النبي – ﷺ – يشحذ همم صحابته الكرام ﷺ ويحثهم على لزوم قوة الإرادة على أن يطلبوها من الله – عز وجل– ، ويسرد لنا شداد بن أوس ﷺ في مشهد عملي راق ما كان من رسول الله ﷺ، يتعاهده مع صحابته ﷺ.

أخرج الترمذي في سننه بسنده إلى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ– ﷺ– كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ..» [٢]

قال المباركفوري : (عزيمة الرشد: هي الجد في الأمر بحيث ينجز كل ما هو رشد من أموره والرشد بضم الراء المهملة وإسكان الشين المعجمة هو الصلاح والفلاح والصواب وفي رواية لأحمد أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد أي عقد القلب على إمضاء الأمر) [٣].

قال الإمام المناوي: (اللهم إني أسألك الثبات في الأمر)، أي: الدوام على

---

(١) الهزيمة النفسية الأسباب والآثار–الوقاية والعلاج ص٤

(٢) سنن الترمذي ، كتاب: الدعوات– باب: منه ٥/٤٧٦ح٣٤٠٧ ، قلت: وهو (حسن) بمجموع طرقه ، وأخرجه: ابن أبى شيبة ٦/٤٦ ، رقم ٢٩٣٥٨ ، وأحمد ٤/١٢٣ ، رقم ١٧١٥٥ ، وابن حبان ٥/٣١٠ ، رقم١٩٧٤ ، والطبراني في المعجم ٧/٢٧٩ ، رقم ٧١٣٥ ، والحاكم ١/٦٨٨ ، رقم ١٨٧٢، وقال : صحيح على شرط مسلم . وأبو نعيم في الحلية ٦/٧٧ . وأخرجه أيضًا : النسائي في السنن٣/٥٤ ، رقم ١٣٠٤

(٣) تحفة الأحوذي٩/٢٤٩

الدين والاستقامة ... ولهذا قال الوالي الثبات التمكن في الموضع الذي شأنه الاستزلال) [١]

وفي هذا البحث المتواضع: أسوق للقارئ الكريم في عدة مباحث ، أبرز وأوضح سبل مواجهة الهزيمة النفسية ، في عدد من أشد صور الهزائم النفسية التي تعرضت أو تتعرض لها الأمة الإسلامية أفرادا وجماعات والتي من شأنها أن تنهك الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة جسدًا وروحًا ، ولن يطول حديثي عن عرض تفاصيل تلك النكبات والمصائب التي ألمت أو من الممكن أن تلم بالفرد المسلم أو الجماعة ، بقدر ما سيكون تركيزي على طرق المواجهة وتفاصيل المقاومة لتلك الهزائم، حيث هو مقصدي من عرض هذا البحث المتواضع

على أنه لا يخلو سبيل من سبل المواجهة من أحد مسلكين، الأول منهما: مادي، وتحتاج فيه المواجهة إلى إعداد العدة واستجماع القوى، والثاني: معنوي، و فيه يحتاج صاحب الهزيمة إلى شحذ همته ورفع روحه المعنوية لمواجهة ما ألم به والتغلب عليه، حتى يتحقق موعود المولى عز وجل بالنصر المؤذر والمكسب المحقق لتلك الفئة المستثناه من الخسران الذي يلحق بالإنسان الذي ترك مع جماعته التواصي بالحق والتواصي بالصبر

فقال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [٢]

وقد عنيت بالسنة النبوية، سنته – صلى الله عليه وسلم – أقوالا وأفعالا وتقريرات، وكذا سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، حيث أنهم مشاعل الهدى ومصابيح الدجى، وهم المقصودون من توجيهه–صلى الله عليه وسلم–

---

(١) فيض القدير٢/١٦٤

(٢) سورة العصر.

حين قال « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ.. » (١) .

وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى فصلين:

الفصل الأول : سبل مواجهة الهزيمة النفسية عبر تاريخ الأمة الإسلامية وحتى زمن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–

الفصل الثاني: سبل مواجهة الهزيمة النفسية في شأن (بعض أفراد الأمة)..

أما الفصل الأول : فقد عرضت فيه سبل مواجهة الهزيمة النفسية لأشد خمسة أزمات وهزائم كادت أن تعصف بتلك الأمة الفتية وهي في مهدها أو حتى بعد اشتداد عودها وسطوع شمسها.

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث :

المبحث الأول: مواجهة الهزيمة النفسية في غزوة أحد ، عقب إشاعة خبر استشهاد النبي – صلى الله عليه وسلم–

المبحث الثاني: مواجهة الهزيمة النفسية في غزوتي (حُنين ، والأحزاب)

المبحث الثالث: مواجهة الهزيمة النفسية عقب حادث الإفك ، وكعب بن مالك في قصة "الثلاثة الذين خلفوا".

المبحث الرابع: سيدنا أبو بكر الصديق ومواجهة الهزيمة النفسية (عقب وفاة النبي ﷺ)، وموقف الصديق من المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه: أبوداود ، في سننه، كتاب: السنة– باب: فِي لُزُومِ السُّنَّة٤/٣٢٩ح٤٦٠٩ (وإسناده: صحيح)، والترمذي في سننه، كتاب: العلم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥/٤٤ح٢٦٧٦، وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح.

المبحث الخامس: سيدنا عمر بن الخطاب ومواجهة الهزيمة النفسية: (عام الرمادة)،وزمن (وباء الطاعون) .

ومن خلال تلك الخمس نكبات التي تعرضت لها الأمة – أو تتعرض لها أفرادا وجماعات – أسلط الضوء على العلاج الرباني والنبوي المستمد أيضا من الوحي السماوي والذي عالج به رب العزة – من خلال وحيه الشريف لسيد الخلق أجمعين – تلك الأزمات بل ومن سار على نهجه من بعده –صلى الله عليه وسلم– من الخلفاء الراشدين.

ثم صغت في عبارة واضحة كيف كان السبيل أو السبل تلك الهزيمة ، وقد تتضمن الهزيمة الواحدة عدة مسالك للخروج منها ،والتغلب عليها أسوقها أيضا أثناء العرض لتلك الهزيمة التي حللت بالأمة.

وأما الفصل الثاني: سبل مواجهة الهزيمة النفسية في شأن بعض أفراد الأمة.

فقد عرضت فيها بعضا من هديه النبوي الشريف كسبيل من سبل مواجهة ما يلقاه بعض أفراد الأمة من هزائم ونكبات تتعلق بأوضاعهم الاجتماعية أو الصحية ، أو السلوكية ، قد تضعف أحياناً إيمان بعضهم ، أو تكون سببًا في تردي أوضاعهم المعنوية ، ركزت فيها على هديه الشريف ﷺ سواء كان موجها لأصحاب تلك النكبات أم لمن حولهم ممن يحيطون بهم

ثم اختتمت البحث بخاتمة ، وعدة نتائج توصلت إليها من خلال معايشتي له، وعدد من التوصيات.

ثم زيلته بفهرسين لسهولة المراجعة، وهما:

فهرس للموضوعات، وفهرس للمصادر والمراجع، وقد أرجئت معلومات الكتب والمراجع من حيث: اسم المؤلف، أو طبعة الكتاب ، أو تحقيقه إلى فهرس المصادر.

الدراسات السابقة:

قمت بالبحث عن الكتابات التي تناولت هذا الموضوع، فوجدت عددا من الكتابات، غير أنها تفتقر إلى التأصيل الشرعي، وخاصة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية لهذا الموضوع، كما تفتقر إلى التصور الكامل للموضوع، كما أن معظمها يتناول الموضوع من جانبه التربوي أو النفسي، فأردت أن أعالج هذا القصور الملحوظ في تناول السابقين للموضوع بهذا التأصيل، كما أن البعض منها تكلم عن أسباب تلك الهزيمة وطرق علاجها في حيز ضيق، يفتقد النظرة الشمولية لتاريخ الدولة الإسلامية ومواقف رجالها تجاه تلك الهزائم التي تعرضت لها الأمة، أو بعض أفرادها، متمثلة في سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ﷺ وهم المعول على تصرفاتهم في هذا الشأن وغيره من الشؤون، تمسكا بهديه الشريف – صلى الله عليه وسلم – (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ..) [1] الحديث

وقد كانت تلك الدراسات أو الكتابات على النحو التالي:

١ – الهزيمة النفسية عند المسلمين عبدالله خاطر (مقال).

٢ – المنهج الإسلامي في علاج الهزيمة النفسية بقلم الدكتور راغب السرجاني. مقال ٠(منتدى الطريق إلى الله)

٣ – الهزيمة النفسية الأسباب –الآثار– الوقاية والعلاج ،إعداد : د. ياسر بن

---

(١) أخرجه: الترمذي ، في سننه ، كتاب:– باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥/٤٤ح ٢٦٧٦ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ، وأبو داود، في سننه ،كتاب: السنة – باب: فِي لُزُومِ السُّنَّة٤/٣٢٩ح ٤٦٠٩،قلت: (وإسناده صحيح) ، وابن ماجة في سننه، كتاب: – افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين١/١٥ح ٤٢

مصطفى الشلبي، المكتب النفسي والاجتماعي ،بهيئة الشام الإسلامية، الطبعة: الأولى، ذو القعدة ١٤٣٥ هـ – سبتمبر ٢٠١٤ م .

٤ – الهزيمة النفسية: ماهيتها، مؤشراتها، محدداتها، تداعياتها، والوقاية منها "دراسة في بناء المفهوم"، للدكتور. محمد السعيد عبدالجواد أبو حلاوة .مدرس الصحة النفسية ، بكلية التربية ، جامعة دمنهور [١] .

---

(١) على أن تلك الدراسة حاولت التقعيد لمفهوم (الهزيمة النفسية) من منظور الطب النفسي، على فرضية أنه حالة مرضية، وهذا ما لا أقره ولا يجوز التصديق عليه في بحثي هذا ، إذ يؤدي ذلك إلى اعتبار الصحابة –رضي الله عنهم – وحاشاهم (ضمن هذه الفئات) باعتبار محاولة تقعيد الدكتور الفاضل/ صاحب الدراسة.

حيث يقول: تنتمي الدراسة الراهنة إلى ما يمكن تسميته دراسات التنظير، التي تستهدف الصياغة المفاهيمية لماهية الهزيمة النفسية ، بغية تأكيد الافتراض الرئيسي للدراسة الحالية والتي مفاده أن الهزيمة النفسية جديرة بأن تكون حالة مرضية ، تدرج ضمن فئات الحالات المرضية في أدلة وصف وتفسير وتشخيص الاضطرابات النفسية والسلوكية المعتمدة في أدبيات الطب النفسي والصحة النفسية. مجلة كلية التربية –جامعة دمنهور – المجلد الرابع – ص ١٨٩ ، العدد (٢) لسنة ٢٠١٢م،

وهذا ما لا يقول به مسلم، فضلا عن كونه باحث شرعي، فتقعيدي لمصطلح الهزيمة النفسية هنا تأصيل وتقعيد يتسق ويتوافق مع مبادئ الشرع الشريف في القول بعصمة النبيﷺ ، وسلامة الصحابة رضوان من أمراض النفس أو متلازماتها –حاشاهم– رضي الله عنهم ،فهم أكمل الناس إيمانا وأسلم الناس صدرا ، وأن ما وقع لهم مما يأتي سرده في مفردات البحث إنما هو من أعراض النفس البشرية التي فطرت عليها ، كما أصلت لها من القرآن والسنة ، وقد واجهوا ذلك ونهضوا بتلك الأنفس أيما نهوض ، حتى حققوا وعد الحق تبارك وتعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) . سورة الشمس – آية ٩، ١٠

الفصل الأول

سبل مواجهة الهزيمة النفسية عبر تاريخ الأمة الإسلامية حتى زمن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

توطئة :

لقد مرت الأمة الإسلامية بالعديد من الهزائم وكثير من الخسائر المادية تارة، والمعنوية تارة أخرى، وقد كانت تلك النكبات والخطوب المدلهمة وحدها كفيلة بأن تعصف بكيان الأمة بأسرها وتطيح بأسمى وأهم مبادئها

لولا أن من الله على تلك الأمة الوسط بهذا النبي الخاتم سيد المرسلين ورحمة الله تعالى للعالمين والذي أتى بالعلاج الرباني الذي لا يغادر بعده سقما وذلك من خلال توجيهاته الحكيمة وتصرفاته الرشيدة التي منبعها الوحي الشريف، والحكمة التي أوتيها سيد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين قال تعالى: .. ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ..الآية﴾(١)

وقال أيضا: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)

ومن حوادث السيرة النبوية وكبريات أحداثها التي يتضح من خلالها كيف عالج النبي الكريم– صلى الله عليه وسلم– وصحابته الكرام ما واجه المجتمع المسلم من مصائب ونكبات وخطوب مدلهمة.

ألقي الضوء على أبرز خمسة خطوب مر بها المجتمع المسلم الناشئ ، على مدار سنين الدعوة المحمدية ووصولا إلى زمن سيدنا عمر بن الخطاب وكيف كان تعامله مع مصاب عام الرمادة ، وكذا وباء الطاعون.

تحت خمس مباحث:

---

(١) سورة الإسراء – آية٣٩

(٢) سورة البقرة – من الآية ١٥١

المبحث الأول

مواجهة الهزيمة النفسية في غزوة أحد بعد إشاعة مقتل النبي – صلى الله عليه وسلم –

وكما هو معلوم في شريف علم القارئ الكريم ،ما كان من أمر غزوة أحد والتي وقعت بين المسلمين من جهة وبين الكفار من جهة أخرى(١) .

وبادئ ذي بدء فإنه ينبغي أن نقرر أن أمر الحروب والغزوات وبصفة عامة باب الجهاد والهجرة ، لهو أمر عظيم الخطر في حياة المسلم ، وله تأصيل نفسي وشرعي في منظومة الفكر الإسلامي

ذلك أن ابتداء نشوء دولة الإسلام كان مبنيا على الجهاد ، إما جهاد العدو أو جهاد النفس أو الهجرة من الوطن ومن المعاصي

بل لقد تجاوز الأمر كونه سنة من سنن التغيير وتبديل الشرائع إلى كونه قضية أزلية بين الشيطان وابن آدم .

أخرج الإمام أحمد في مسنده، بسنده إلى سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ (٢) ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ(٣) ، فَقَعَدَ لَهُ

---

(١) تراجع أحداث غزوة أحد: سيرة ابن اسحق ٣٠١/٣، مغازي الواقدي ١٩٩/١، الدرر في اختصار المغازي والسير ١٥٣/١

(٢) سبرة بن الفاكه ، ويقال بن الفاكهة ، ويقال بن أبي الفاكه ، المخزومي، وقيل: الأسدي، صحابي نزل الكوفة له حديث عند النسائي بإسناد حسن إلا أن في إسناده اختلافا ولفظه سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه الحديث في قضية الجهاد ،وقد صححه بن حبان ووقع عنده سبرة بن أبي فاكه، روى عنه: عمارة بن خزيمة ، وسالم بن أبي الجعد. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣١/٣ ت ٣٠٨٨، تهذيب الكمال للمزي ٢٠٢/١٠ت٢١٨٠، الجرح والتعديل ٢٩٥/٤ ت ١٢٨٠

(٣) ضبطها السندي ، وقال: بكسر الراء جمع طريق على التأنيث لأن الطريق يذكر ويؤنث فجمعه على التذكير أطرقة كرغيف وأرغفة وعلى التأنيث أطرق كيمين وأيمن النهاية في غريب الأثر ٢٧٠/٣، وشرح السيوطي لسنن النسائي ٢١/٦ رقم ٣١٣٤ .

بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ ، فَقَالَ أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ (١) ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ، قَالَ: ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ ، فَقَالَ لَهُ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ ، فَتُقَاتِلُ ، فَتُقْتَلُ ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ ، قَالَ: فَعَصَاهُ ، فَجَاهَدَ ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ"(٢).

ولفظ ابن أبي شيبة : " فمن فعل ذلك ضمن الله له الجنة إن قتل أو مات غرقا أو حرقا فأكله السبع ".(٣).

من أجل هذا كان أمر الجهاد من المشقة على النفس بمكان، حيث تحيط بمن يقدم عليه عدة معوقات وكثير من المنفرات غالبها يسبب هزيمة نفسية لمن يتوقف أمامها، ولأجل هذا فإن من يجاهد الشيطان ويجاهد نفسه ، ليبرقى بها إلى مصاف الإيمان بما جاء به الوحي الشريف فإنه فقط من

---

(١) كَمَثَلِ الْفَرَسِ الطِوَل: هو بكسر الطاء الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه. شرح السيوطي لسنن النسائي ٦/٢١رقم٣١٣٤

(٢) مسند أحمد ٣/٤٨٣رقم١٦٠٠٠من مسند (سبرة بن أبي فاكه) واللفظ له، وإسناده (صحيح)، وأخرجه: الطبراني في المعجم الكبير٧/١١٧رقم٦٥٥٨، وابن حبان في صحيحه، كتاب: السير – باب: فضل الجهاد١٠/٤٥٣رقم ٤٥٩٣، وقال العراقي : إسناده صحيح ، وقال الحافظ إسناده: (حسن). الإصابة ١/٤٣٠ت١٠١٦

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ،كتاب الجهاد– باب: ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ٤/٢٠٤رقم١٩٣٢٩، والنسائي في سننه، باب: ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ٦/ ٢١ رقم ٣١٣٤. والحديث (صحيح) كما تقدم.

يستحق أن يتحقق له موعود الله تعالى بدخول الجنة ومرافقة النبيين والصديقين .

إن أمر الجهاد قد بلغ من العظمة والدقة أن جعل ميزانا ومقياسا لإيمان المؤمن، ونفاق المنافق، وكم من منافق فضحه مدى إقدامه أو إحجامه عن الجهاد في سبيل الله.

وقد كانت للنبي – صلى الله عليه وسلم – منهجية في خوض الحروب خاصة، ونستطيع أن نعتبرها مسلكا من مسالك مواجهة الهزيمة سواء كانت مادية أو معنوية ، وقد ظهرت بوضوح وجلاء بل استقرت كمنهج معتمد لكل الغزوات التي تلت أحد وأتت بعدها

وذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا استنفر الناس وتجهزوا استعرضهم حتى لا يخرج معه إلا من كان قادراً على القتال، فكان – صلى الله عليه وسلم – لا يسمح باصطحاب الغلمان، والعجزة كما حصل هنا في غزوة أحد .

أخرج البخاري في صحيحه ، بسنده إلى يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا يَحْيَى ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْهُ وَعَرَضَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَهُ [1].فها هو مسلك مادي لمواجهة الهزيمة جعله النبي الكريم منهجا يتبع ، بل لقد سارت به جيوش العالم أسره حتى يومنا هذا .

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ عَرَضَنِي

(١) صحيح البخاري، كتاب: الشهادات– باب: بلوغ الصبيان وشهادتهم٢/٩٨٤ رقم ٢٥٢١ ، ومسلم، في صحيحه، كتاب: الإمارة – باب: بيان سن البلوغ ٦/٢٩رقم ٤٩٤٤.

رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– يَوْمَ أُحُدٍ فِى الْقِتَالِ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِى وَعَرَضَنِى يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِى. قَالَ نَافِعٌ فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ. فَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا لِمَنْ كَانَ ابْنَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَاجْعَلُوهُ فِى الْعِيَالِ.

– المسلك الأول من مسالك مواجهة الهزيمة النفسية: (استنهاض الهمم للتفاعل الإيجابي مع الموقف ، وعدم الاستسلام للهزيمة ، ورفع معنويات الفريق المهزوم)

حيث بدت الهزيمة واضحة جلية في: (موقف المسلمين في غزوة أحد بعد إشاعة مقتل النبي– صلي الله عليه وسلم–)

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الشعور الذي أصاب المسلمين عقب تلك الإشاعة بأنه (مصيبة) فقال في كتابه العزيز

(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١)

وصدق التعبير القرآني ، فقد فَقَد الجيش الإسلامي من جراء تلك المخالفة سبعين جنديا من خيار الصحابة رضي الله عنهم

فكانت بحق هزيمة نفسية نكراء ، وكان بحق انكسار ما بعده انكسار، ولى على أثره بعضهم ولاذ بالفرار

وقد عالج القرآن الكريم ذلك المشهد الحزين من مشاهد عمر الدعوة المحمدية في ستين آية من آيات سورة آل عمران

قال تعالى (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين) (٢)

---

(١) سورة آل عمران– آية (١٦٥)

(٢) سورة آل عمران–آية ١٣٩

وأما عن السنة النبوية التي سردت لنا وقائع ذلك المشهد فإن تحليل أحداثه ليطول شرحه .

قال ابن كثير: (قال مالك: وكانت الوقعة في أول النهار، وهى على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى: " " وإذ غدوت من أهلك.. وما كان الله ليطلعكم على الغيب "(١)

وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخري نصراً ساحقاً على أهل مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تماماً، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت تكون سبباً في مقتل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، وعلى الهيبة التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر .

كما كان للمنافقين النصيب الأوفر من سبب هذا الانهزام .

أخرج البخاري في صحيحه ، بسنده إلى أَنَس ﷺ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ فَقَالَ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أُجِدُّ فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ فَهُزِمَ النَّاسُ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ أَيْنَ يَا سَعْدُ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ فَمَضَى فَقُتِلَ فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ .." (٢) الحديث .

قال ابن إسحاق: (حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنه

---

(١) سيرة ابن كثير٣/١٩ ، وسورة آل عمران ١٢١ – ١٧٩

(٢) صحيح البخاري، كتاب: المغازي– باب: غزوة أحد٤/١٤٨٧رقم٣٨٢٢، وأخرجه ، مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة – باب: ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ٦/٤٥ رقم ٥٠٢٧

عبدالله بن أبي ابن سلول بثلث الناس وقال أطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل انفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبدالله ابن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال قال فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه... وامر على الرماة عبدالله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتينَّ من قبلك وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخي بني عبد الدار) [١]

بل إن الهزيمة لم تقف عند هزيمة جموع المسلمين من المقاتلين وغيرهم، بل تجاوزتهم إلى أن نالت من جنابه الشريف ﷺ ، فنرى كتب السنة تصف لنا ما حدث من المشركين تجاه رسول الله ﷺ بأقسى عبارة من الممكن أن تتلقاها النفس أسفا على رسوله الكريم

قال ابن إسحاق: (وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص اكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص ..) [٢] .

أخرج البخاري في صحيحه ، بسنده إلى سهل رضي الله عنه : أنه سئل

---

(١) ابن هشام٤/ ٩، ١٠

(٢) السيرة ٣٢/٤

عن جرح النبي صلى الله عليه و سلم يوم أحد فقال جرح وجه النبي صلى الله عليه و سلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وكانت فاطمة عليها السلام تغسل الدم وعلي يمسك فلما رأت أن الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت حصيرا فأحرقته حتى صار رمادا ثم ألزقته فاستمسك الدم) (١)

فانظر إلى تلك الصورة المؤلمة التي عاينتها فاطمة الزهراء عن أبيها سيد المرسلين ورحمة الله تعالى للعالمين وهي من هي مكانة وقربا منه ﷺ ، تداوي جرحه ﷺ و قلبها يعتصر من الألم على ما وقع له ﷺ ، من هؤلاء الكفار عليهم سحائب اللعنات.

أخرج مسلم في صحيحه، بسنده إلى أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ فِى رَأْسِهِ فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ) (٢)

فها أنت ترى أيها القارئ ما أصاب النبي الكريمﷺ من أذى ، وما لحق به من ضرر كفيل بأن يهزم نفسية من حوله من صحابته الكرام وأن يحدوا بهم إلى الفرار وعدم مواصلة القتال ، فلما رأى النبي الكريم أن تلك الأحداث كفيلة بأن تهزم نفوسهم وتجعل الخسران نصيبهم ، قام بدوره الذي نيط به على أكمل وجه وأتمه ، فنراه ﷺ يشحذ هممهم بما عاينه من الوحي الشريف وبما يبث روح المقاومة في نفوسهم إلى أبعد الحدود،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب، المغازي - باب: لبس البيضة٣/١٠٦٦ح٢٧٥٤ ، وأخرجه: مسلم، في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير- باب: غزوة أحد٥/١٧٨ رقم ٤٧٤٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب: المغازي - باب: غَزْوَةِ أُحُد ٥/١٧٩رقم ٤٧٤٦ ، وانظر: السيرة ٤/ ٢٨ .

وقد عرضت للقارئ الكريم الأوامر الشديدة التي أصدرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى هؤلاء الرماة، بلزومهم موقفهم من الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة، ولكن على رغم هذه الأوامر المشددة لما رأي هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو غلبت عليهم أثارة من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض : الغنيمة، الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟

ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار، وهو يتَشَحَّطُ في دمه، فقال: يا فلان، أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل فقد بَلَّغ، فقاتلوا عن دينكم .

وبمثل هذا الاستنهاض للهمم والتشجيع عادت إلى جنود المسلمين روحهم المعنوية، ورجع إليهم رشدهم وصوابهم، فعدلوا عن فكرة الاستسلام أو الاتصال بابن أبي، وأخذوا سلاحهم، يهاجمون تيارات المشركين، وهم يحاولون شق الطريق إلى مقر القيادة، وقد بلغهم أن خبر مقتل النبي صلى الله عليه وسلم كذب مُخْتَلَق، فزادهم ذلك قوة على قوتهم، فنجحوا في الإفلات عن التطويق، وفي التجمع حول مركز منيع، بعد أن باشروا القتال المرير، وجالدوا بضراوة بالغة .

ومن سبل المواجهة التي قام بها النبي الكريم: أن شحذ عزائم المخلصين من أصحابه من حوله ليثبتوا معه.

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِى الْجَنَّةِ ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– لِصَاحِبَيْهِ « مَا أَنْصَفْنَا

أَصْحَابَنَا »[1] .

وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السَّكَن، قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط)

ولا شك أن المشركين كانوا يهدفون القضاء على حياة رسول الله ﷺ إلا أن القرشيين سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله قاما ببطولة نادرة، وقاتلا ببسالة منقطعة النظير، حتى لم يتركا – وهما اثنان فحسب – سبيلاً إلى نجاح المشركين في هدفهم، وكانا من أمهر رماة العرب فتناضلا حتى أجهضا مفرزة المشركين عن رسول الله ﷺ، فأما سعد بن أبي وقاص، فقد نثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته، وقال : (ارم فداك أبي وأمي) ويدل على مدى كفاءته أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع أبويه لأحد غير سعد .

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: "ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي"[2].

وأما طلحة بن عبيد الله فقد روي النسائي عن جابر ﷺ قصة تَجَمَّع المشركين حول رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ومعه نفر من الأنصار، قال جابر : فأدرك المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (من

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير– باب: غَزْوَةِ أُحُدٍ ١٧٨/٥رقم ٤٧٤٢ ، وسيرة ابن كثير٥١/٣

(٢) صحيح البخاري ،كتاب: المغازي–باب { إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون } .١٤٨٩/٤رقم٣٨٣١ وأخرجه: مسلم، في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة– باب: فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ رضى الله عنه.١٢٥/٧رقم ٦٣٨٦، وانظر: الرحيق المختوم ، وسيرة ابن كثير٥١/٣

للقوم ؟) فقال طلحة : أنا، ثم ذكر جابر تقدم الأنصار، وقتلهم واحداً بعد واحد، بنحو ما ذكرنا من رواية مسلم، فلما قتل الأنصار كلهم تقدم طلحة . قال جابر : ثم قاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه، فقال : حَسٍّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لو قلت : بسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون) ، قال : ثم رد الله المشركين[1]

وإذا كنا عرضنا في السطور السابقة مشاهدا من الهزيمة المادية والجسدية التي تعرض لها جيش المسلمين ، فإنها ليست بأوقع أثرا ولا أكثر ضررا من هزيمة النفس التي أصابتهم بعد

إشاعة مقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – :

لقد شاع خبر مقتل النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين والمسلمين . وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضي والاضطراب، إلا أن هذه الصيحة خففت بعض التخفيف من مضاعفة هجمات المشركين ؛ لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلي المسلمين .

وإذا كان آحاد البشر تدعم معنوياته ويشتد عضده بفرد من البشر مثله،

---

(١) سنن النسائي، كتاب: الجهاد– باب: ما يقول من يطعنه العدو٦/٢٩رقم٣١٤٩، وإسناده (حسن) . من قوله فقطعت أصابعه، فيه : محمد بن مسلم بن تدرس القرشي الأسدي، أبو الزبير المكي، مولى حكيم بن حزام، قال ابن حجر : صدوق إلا أنه يدلس. التاريخ الكبير١/٢٢١ت٦٩٤،الجرح والتعديل ١/١٥١ت٦٥،تهذيب التهذيب ٣٠/٤٤٠ت٧٢٩. وفيه: يحيى بن أيوب بن بادى الخولاني مولاهم ، قال الحافظ ابن حجر :(صدوق).التهذيب ٣٧/١٥ت٣١٣، وما قبله يحتمل التحسين وهو على شرط مسلم.

قال تعالى: ﴿هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[1]

فما بال من يرى رأي العين الملائكة في أرض المعركة تنافح وتدافع عن نبي الأمة.!؟

أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدٍ قَالَ رَأَيْتُ رسول الله يَوْمَ أُحُدٍ ومعه رجلان يقاتلان عنه عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيضٍ كأشد القتال مَا رَأَيْتُهُمَا من قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ. يَعْنِى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ.) [2]

قال النووي: (يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام وفي الرواية الأخرى أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره يقاتلان عنه كأشد القتال، فيه: بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر ، وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاص فهذا صريح في الرد عليه، وفيه: فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء ،وفيه: منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة والله أعلم) [3]

قلت: لا شك أن نفسية سعد قد تغيرت وتحولت من الهزيمة إلى النصر ، وذلك مما رآه .

وينضاف إلى ذلك ما رآه المسلمون من شجاعة النبي ﷺ وإقدامه وعدم مهابته لهذا العدو الصنديد.

---

(١) سورة طه – آية (٣٠، ٣١).

(٢) صحيح البخاري ، باب { إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون } . / آل عمران ١٢٢ /٤/١٤٨٩رقم٥٤٨٨، ومسلم في الفضائل ، باب: فِي قِتَالِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم– يَوْمَ أُحُدٍ ٧/٧٢رقم٦١٤٤

(٣) شرح النووي على مسلم ١٥/٦٦

قال الحافظ ابن حجر: (قال الشيخ تقي الدين السبكي : سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ، فقلت : وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عبادة ، والله تعالى هو فاعل الجميع . والله أعلم)، (١)

وفي بشارته لأحد المقاتلين يوم أحد بدخول الجنة إن هو قاتل فقتل شهيدا، رفع للروح المعنوية ومواجهة للهزيمة النفسية التي قد يسببها له الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء حيث تزين أو يزين الشيطان للعبد حب الدنيا وإيثارها على الآخرة .

أخرج البخاري في صحيحه ، بسنده إلى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا قَالَ فِي الْجَنَّةِ فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ"(٢)

وما هذا إلا لأن العزيمة التي بثت فيهم كافية للصمود أمام أي هجوم مهما كانت قوته، بل وكفيلة لتحمل أي مصير فداء لشخصه الشريف ﷺ)

قلت: فكان من ثمار تلك الروح العالية والنفس الشامخة التي أعادها النبي ﷺ لصحابته الكرام ممن صدقو ما عاهدوا الله عليه ، أن دخل الناس في دين الله أفواجا ، بل لقد أخذت الأمور مجراها الصحيح من حيث مهابة رسول الله ﷺ ومهابة من حوله من أصحابه الكرام .

---

(١) فتح الباري ٣٩٧/٧-٣٩٨، والتوشيح ص: ٣٦٨، والمواهب اللدنية ١١٧/١

(٢) صحيح البخاري ،كتاب: الغزوات- باب: غزوة أحد١٤٨٧/٤ح٣٨٢٠ ، وأخرجه، مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة – باب: ثبوت الجنة للشهيد ٤٣/٦ رقم ٥٠٢٢

ومن سبل المواجهة لتلك الهزيمة : تصحيح التصور عن حال الجهة المقابلة للمؤمنين حتى يهون عليهم ما يجدونه من ألم نفسي ناشئ عن الهزيمة التي ألمت بهم .

قال تعالى (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ [١]

قال الإمام القرطبي: (والمعنى : إن يمسسكم يوم أحد قرح فقد مس القوم يوم بدر قرح مثله.) [٢]

(وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [٣]

قال الإمام القرطبي: (أي تتألمون مما أصابكم من الجراح فهم يتألمون أيضا مما يصيبهم ، ولكم مزية وهي أنكم ترجون ثواب الله وهم لا يرجونه ؛ وذلك أن من لا يؤمن بالله. لا يرجون من الله شيئا) [٤]

ومن سبل المواجهة أيضا عدم الاستسلام للهزيمة والخضوع لها بطول الفترة في حال الحزن واستدعاء الذكريات المؤلمة

قال تعالى:(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [٥]

فطن هذا المعنى رجلان من صحابته الكرام- ﷺ: (أنس بن النضر) .

---

(١) سورة آل عمران- آية(١٤٠)

(٢) الجامع ٢١٧/٤

(٣) سورة النساء-آية (١٠٤)

(٤) الجامع لأحكام القرآن٣٧٤/٥

(٥) سورة آل عمران- آية(١٤٤)

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى أَنَس ﷺ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ ، فَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أُجِدُّ فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ فَهُزِمَ النَّاسُ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ ، فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، فَقَالَ أَيْنَ يَا سَعْدُ: إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ ، فَمَضَى فَقُتِلَ فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ"(١)

فانظر إلى تعبير كُتب السنة عن حال القوم آنذاك ، بقولهم: (فَهُزِمَ النَّاسُ) وكيف صور ما وصلوا إليه من الانهزامية .؟

وفي قوله تعالى : (وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) إلى قول : " فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا".

قال الإمام القرطبي : (.. روى أنها نزلت بسبب انهزام المسلمين يوم أحد حين صاح الشيطان: قد قُتل محمد. قال عطية العوفي: فقال بعض الناس: قد أصيب محمد فأعطوهم بأيديكم فإنما هم إخوانكم. وقال بعضهم: إن كان محمد قد أصيب ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فأنزل الله تعالى في ذلك (وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) إلى قول: " فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا"، وما نافية، وما بعدها ابتداء وخبر، وبطل عمل" ما". وقرا ابن عباس" قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" بغير ألف ولام. فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبدا، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل وإن فقد الرسول بموت أو قتل...فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمد، والنبوة لا

(١) تقدم تخريجه، ص ، وهو في البخاري ومسلم، وانظر: سيرة ابن هشام ٣: ٨٨ ، وتاريخ الطبري ٣: ١٩، زاد المعاد ١٧٢/٣، تفسير الطبري ٢٥٧/٧

تدرأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء.) [١]

فها هنا سبيل تدعيم الإيمان بالاعتزاز بالله وحده وبأنه هو وحده الباقي دون أحد سواه ، وأن البشر كلهم بل الوجود كله إلى زوال وإنما الخلود والبقاء لله الواحد القهار، وينبغي أن نطلب النصر والمعونة منه سبحانه وتعالى.

ومن السبل لمواجهة الهزيمة الإصرار على النصر وإعداد العدة والعتاد له ، والصبر على ذلك والاجتهاد في تحقيقه.

فها هو النبي الكريم وعقب ما لحق بالمسلمين من خسارة مادية تتمثل في فقد سبعين شهيدا من خيار الصحابة ومع ما اصطدمت به نفوسهم من إشاعة خبر مقتل النبي الكريم، بتلك الأجساد التي أنهكها القتال وبتلك النفوس التي أنهكتها الإشاعات والأخبار الكاذبة الموجعة

قرر أن يطارد جيش الكفار ويكر عليهم مرة أخرى دون تردد، ليثبت لمن صمد وثبت من أصحابه ثقته بهم وعزمه على إعادة الروح المعنوية التي انطفأت بالأمس القريب نتيجة الهزيمة التي تعرض لها جيش المسلمين

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} قَالَتْ لِعُرْوَةَ يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا قَالَ مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا قَالَ كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ. [٢]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٢٢٢/٤، تفسير الطبري٢٥٩/٧

(٢) صحيح البخاري ،كتاب: المغازي–باب: { الذين استجابوا لله والرسول } / آل عمران ١٧٢ /١٤٩٧/٤رقم٣٨٤٩، وصحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة– باب: مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رضى الله عنهما١٢٩/٧رقم٦٤٠٢، ٦٤٠٣

قال الحافظ ابن حجر: (قوله : (باب الذين استجابوا لله والرسول) .

أي سبب نزولها، وأنها تتعلق بأحد، قال ابن إسحاق : كان أحد يوم السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس ، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج منه فأذن له ، وإنما خرج مرهبا للعدو وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم ، فلما بلغ حمراء الأسد(١) لقيه سعيد بن أبي معبد الخزاعي فيما حدثني عبد الله بن أبي بكر فعزاه بمصاب أصحابه ، فأعلمه أنه لقي أبا سفيان ومن معه وهم بالروحاء وقد تلوموا في أنفسهما وقالوا : أصبنا جل أصحاب محمد وأشرافهم وانصرفنا قبل أن نستأصلهم ، وهموا بالعود إلى المدينة ، فأخبرهم معبد أن محمدا قد خرج في طلبكم في جمع لم أر مثله ممن تخلف عنه بالمدينة ، قال : فثناهم ذلك عن رأيهم فرجعوا إلى مكة) (٢)

ونزلت الآيات الخالدات بتخليد أصحاب حمراء الأسد إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣)

قلت: وقد بوب الإمام البيهقي لهذا النصر المؤزر ، باب: خروج النبي إلى حمراء الأسد وقول الله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما

---

(١) (حمراء الأسد) موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه كان المنتهى في طلب المشركين يوم أحد، انظر معجم البلدان ٣٠١/٢

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤١٠/١١، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٩/٢

(٣) سورة آل عمران–الآية (١٧٢–١٧٣)

أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) [١]

قال الإمام القرطبي: (قال علماؤنا : لما فوضوا أمورهم إليه ، واعتمدوا بقلوبهم عليه ، أعطاهم من الجزاء أربعة معان : النعمة ، والفضل ، وصرف السوء ، واتباع الرضا. فرضاهم عنه ، ورضي عنهم) [٢]

قال ابن كثير: (قال محمد بن إسحاق: استبشروا وسُرّوا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم، سواء الشهداء وغيرهم، وقَلَّما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم إلا ذكر ما أعطى الله المؤمنين من بعدهم) [٣]

قلت: ورضي الله عن صحابته الكرام، وممن اهتدى بهديهم من سائر الأنام .

---

(١) دلائل النبوة للإمام البيهقي ٣١٢/٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٢/٤

(٣) تفسير ابن كثير١٦٥/٢

المبحث الثاني

سبل مواجهة الهزيمة النفسية ، في غزوتي (حُنين والأحزاب)

والكلام في هذا المبحث يأتي تحت مطلبين:

الأول : وهو عن غزوة حُنين[١] والتي كان مما أنزل في شأنها قوله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) [٢]

وقد كان الرسولﷺ إذا لاقى عدوا للقتال يتبرأ من حوله وقوته ويفوض الأمر لمدبر الأمر فيستقبل ذلك بأدعية محفوظة منها قولهﷺ: «اللهم بك

---

(١) (حنين) يجوز أن يكون تصغير الحنان وهو الرحمة تصغير ترخيم ويجوز أن يكون تصغير الحن وهو حي من الجن وقال السهيلي سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل قال وأظنه من العماليق حكاه عن أبي عبيد البكري وهو اليوم الذي ذكره جل وعز في كتابه الكريم وهو قريب من مكة وقيل هو واد قبل الطائف وقيل واد بجنب ذي المجاز وقال الواقدي بينه وبين مكة ثلاث ليال وقيل بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وهو يذكر ويؤنث فإن قصدت به البلد ذكرته وصرفته كقوله عز و جل ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم وإن قصدت به البلدة والبقعة أنثته ولم تصرفه كقول الشاعر نصروا نبيهم وشدوا أزره بحنين يوم تواكل الأبطال وقال خديج بن العوجاء النصري ولما دنونا من حنين ومائه رأينا سوادا منكر اللون أخصفا بملمومة عمياء لو قذفوا بها شماريخ من عروى إذا عاد صفصفا ولو أن قومي طاوعتني سراتهم إذا ما لقينا العارض المتكشفا إذا ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفا واستمدوا بخندفا كأنه تصغير حن عليه إذا أشفق وهي لغة في أحنى موضع عند مكة.معجم البلدان لياقوت الحموي ٣١٣/٢

قال ابن عبد البر:(حُنين) واد بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، وهو واد من أودية تهامة، وكانت هوازن قد كمنت في جنبي الوادي. الدرر لابن عبد البر ٢٣٩/١

(٢) سورة التوبة- آية ٢٥

أحول وبك أصول، وبك أقاتل» .

أخرج أبو داود في سننه بسنده إلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– إِذَا غَزَا قَالَ: « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِى وَنَصِيرِى بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ »(١).

قال صاحب عون المعبود (اللهم أنت عضدي) بفتح مهملة وضم معجمة أي معتمدي فلا أعتمد على غيرك

وقال في القاموس العضد بالفتح وبالضم وبالكسر وككتف وندس وعنق ما بين المرفق إلى الكتف

والعضد الناصر والمعين وهم عضدي وأعضادي (ونصيري) أي معيني عطف تفسيري .

قال الحافظ المناوي وعزاه للطيبي : والعضد كناية عما يعتمد عليه ويثق المرء به في الخيرات ونحوها وغيرها من القوة(٢)

(بك أحول) أي أصرف كيد العدو وأحتال لدفع مكرهم من حال يحول حيلة وأصله حولة ..(وبك أصول) أي أحمل على العدو حتى أغلبه وأستأصله ومنه الصولة بمعنى الحملة (وبك أقاتل) أي أعداءك) (٣)

ولن أطيل في الكلام عن تفاصيل تلك الغزوة–حيث ألزمت نفسي بذلك في منهج البحث– فإن ذلك مبسوط في كتب السيرة العطرة، والسنة المشرفة،

---

(١) سنن أبو داود ، كتاب: الجهاد–باب: مَا يُدْعَى عِنْدَ اللِّقَاء٣٤٦/٢رقم٢٦٣٤، وهو حديث (صحيح بهذا الإسناد)، وأخرجه: الترمذي في سننه ، كتاب: الدعوات– باب: في الدعاء إذا غزا٥٧٢/٥رقم٣٥٨٤ وقال: هذا حديث حسن غريب ، ومعنى قوله عضدي: يعني عوني.

(٢) فيض القدير ١٥٠/٥

(٣) عون المعبود٢١٢/٧، وانظر: شرح السنة ١٥٣/٥، مشارق الأنوار٢١٦/١.

ولكن لابد من أن أضع القارئ الكريم على مشهد الهزيمة ثم كيف كانت مواجهة النبي الكريم ﷺ لها مع صحابته، وأوضح رواية تجمع لنا ذلك نجدها عند الإمام مسلم – رحمه الله –

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِى كَثِيرُ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ قَالَ عَبَّاسٌ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِىُّ فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ قَالَ عَبَّاسٌ وَ أَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ– أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لاَ تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَىْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ [1] ». فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتًا فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِى أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ قَالَ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِى عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلاَدِهَا. فَقَالُوا يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ – قَالَ – فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِى الأَنْصَارِ يَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَالَ ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا يَا بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ .

---

(١) السَمُرة : بفتح فضم ، واحدة السمر وهو شجر الطلح ،والمراد: الشجرة التي بايع الصحابة عندها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحديبية على ألا يفروا، وكانت تسمى بيعة الرضوان ، فقال : يا أصحاب السمرة يذكرهم بهذه المبايعة، وفيها يقول الله تعالى : {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح : ١٨] . مشارق الأنوار على صحاح الآثار٢/٢٣٣، كشف المشكل من حديث الصحيحين١/١٠٤٩، شرح النووي٦/٢٢٩

فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– « هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ ». قَالَ ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ « انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ». قَالَ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى – قَالَ – فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا(١) .

ثم أوضح من تلك الرواية في التماس أسباب وسبل مواجهة الهزيمة عن الإمام مسلم أيضا .

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى أَبِى إِسْحَاقَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِىِّ اللَّهِ –ﷺ مَا وَلَّى وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَىِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ فَانْكَشَفُوا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ « أَنَا النَّبِىُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ ». قَالَ الْبَرَاءُ كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِى بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِى يُحَاذِى بِهِ. يَعْنِى النَّبِىَّ – صلى الله عليه وسلم – (٢).

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب: المغازي– باب: فِى غَزْوَةِ حُنَيْنٍ٥/١٦٦رقم ٤٧١٢ ،وانظر: الدرر ١/٢٤٠، ٢٤١، وانظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء٢/١٩٧–٢٠٠

(٢) صحيح مسلم ،كتاب: الجهاد والسير– باب: فِى غَزْوَةِ حُنَيْنٍ٥/١٦٨رقم ٤٧١٦ ، وأخرجه البخاري في صحيحه، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر٣/١٠٧١ح٢٧٧٢، وانظر: الدرر ١/٢٤٠، ٢٤١، وانظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء٢/١٩٧–٢٠٠

فالشاهد من هذا العرض هو ما وقع للمسلمين من انهزام نفسي ومعنوي لما وقع لهم، وخاصة أنهم كانوا في بداية المعركة قد أعجبوا بكثرة عددهم وعتادهم ،على أن هذا الأمر وهو أمر الإعجاب أمر خفي في القلب لا يعلمه إلا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إلا أن معظمهم ولهول صدمة الهزيمة قد فروا من ميدان المعركة هاربين لكي ينجو بحشاشة أنفسهم ،ولم يثبت مع النبي الكريم سوى نفر قليل من صحابته الأثبات ، ثم كيف عالج النبي الكريمﷺ هذا الانهزام ، إنه لم يلق يعنف أحدا ممن فر هاربا .

لقد أخذ الرسول – صلى الله عليه وسلم– يراقب المسلمين ويقوِّم ما يظهر من انحرافات في التصور والسلوك، حتى في أخطر ظروف المواجهة مع خصومه العتاة (١)

وأما عن سبل المواجهة فأقول:

قلت: لقد اتخذ النبي الكريم عدة سبل لمواجهة هذا الموقف العصيب وتلك الهزيمة النكراء ، فانظر أيها القارئ الكريم –رعاك الله– إلى قوة عزيمته ورباطة جأشهﷺ حينما كان يواجه الأعداء ويقف في وجوههم ويصيح بأعلى صوته فيوقع الرهبة في قلوبهم دون هوادة، وفي هذا ما فيه من الثبات النفسي وكمال القوة الروحية ، كما انضم إلى هذا المسلك المعنوي مسلك مادي تمثل في حمله ذرات الحصا وإلقائها في وجوههم، ليكتمل لنا المشهد وليثبت لدى المقتدي بهديه وبتصرفاته ﷺ أنه –عليه السلام– أتى بهدي متوازن جمع بين الروح والمادة وبين المعنى والمبنى، وهذا مما جعل الجنود يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت، وهذا يتطلب رباطة جأش مع إعداد عدة.

ومن تلك السبل للمواجهة: الدعاء والاستنصار من المولى عز وجل بل الإلحاح في طلب النصرة .

---

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة للعمري، ص١٩٩، بتصرف

قال النووي : (فنزل واستنصر) أي: دعا ففيه استحباب الدعاء عند قيام الحرب [١] .

ومنها: شجاعته-ﷺ حيث لم يثبت في مكانه فحسب، بل تقدم نحو عدوه راكبًا بغلته، فطفق يركض ببغلته قِبَل الكفار والعباس آخذ بلجام البغلة يكفها ألا تسرع.

قال الإمام النووي: (قوله (ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء) قال العلماء ركوبه ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات ولأنه أيضا يكون معتمدا يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه وإنما فعل هذا عمدا وإلا فقد كانت له صلى الله عليه و سلم أفراس معروفة ومما ذكره في هذا الحديث من شجاعته -صلى الله عليه وسلم- تقدمه يركض بغلته إلى جمع المشركين وقد فر الناس عنه وفي الرواية الأخرى أنه نزل إلى الأرض حين غشوه وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر وقيل فعل ذلك مواساة لمن كان نازلا على الأرض من المسلمين وقد أخبرت الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشجاعته صلى الله عليه و سلم في جميع المواطن) [٢]

ومنها: الثبات على الحق ، وعدم التزحزح عنه، والصمود أمام الباطل.

وذلك يظهر من ثبات قلة من المسلمين معه وحوله حتى جاء الذين تولوا وأكملوا المسيرة؛ مسيرة الثبات والبر والقتال حتى النصر.

قال النووي: (قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيدا وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ورشقهم بالسهام ولاختلاط أهل

---

(١) شرح النووي١٢/١١٨

(٢) شرح النووي١٢/١١٤

مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه وممن يتربص بالمسلمين الدوائر وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة فتقدم اخفاؤهم فلما رشقوهم بالنبل ولوا فانقلبت أولاهم على أخراهم إلى أن أنزل الله تعالى سكينته على المؤمنين كما ذكر) [١]

ومنها: عامل الوقت والسرعة في استيعاب ما ينبغي فعله ، واستجماع الهمة والقوة للمواجهة، والاستنصار بالأتباع وطلب مساعدتهم .

يظهر ذلك في سرعة استجابة الفارِّين والتحاقهم بالقتال، وهذا السبيل من أنجع السبل لمواجهة مثل تلك الهزائم فعامل الوقت في كثير من المعارك إن لم يكن جميعها عامل هزيمة أو نصر.

ففي الرواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– « أَىْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ ». فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتًا فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِى أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ قَالَ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِى عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلاَدِهَا. فَقَالُوا يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ – قَالَ – فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِى الأَنْصَارِ يَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَالَ ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا يَا بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ.

قال النووي: قوله (والدَعوة في الأنصار).. يعني الاستغاثة والمناداة إليهم[٢]

ومنها: الأخذ بالأسباب، إجراء لسنة الله تعالى في خلقه.

يظهر ذلك في رميه ﷺ للحصيات في وجوه الكفار.

قال النووي: قوله (فرماهم بالحصيات ثم قال انهزموا ورب محمد فما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا) هذا فيه

---

(١) شرح النووي١٢/١١٥

(٢) تقدم تخريجه قبل عدة سطور ، وهو في صحيح مسلم. شرح النووي١٢/١١٦

معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ أحداهما فعلية ، والأخرى خبرية فإنه ﷺأخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين وذكر مسلم في الرواية الأخرى في آخر هذا الباب أنه صلى الله عليه و سلم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة وهذا أيضا فيه معجزتان خبرية وفعلية ويحتمل أنه أخذ قبضة من حصى وقبضة من تراب فرمى بذا مرة وبذا مرة ويحتمل أنه أخذ قبضة واحدة.

قلت: ومن عجيب شيمه وشمائله الشريفةﷺ استعمال الشدة واللين في موقعة واحدة وفي موقف واحد ، لكن لما كان موقف الحرب يقتضي القوة والثبات قام بذلك على أكمل وجه وأتمه، وحينما اقتضت رأفته بالمؤمنين استعمال جانب اللين والعفو عن الفارين لم يأل جهدا في العفو عنهم وعدم تعنيفهم حتى، وصدق الله العظيم إذ قال ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ ، كما أنه حينما طالبه بعض المسلمين بأن يقتل الطلقاء لأنهم فروا، لم يوافق على هذا [1] .

ويمكن من خلال ما ورد في القرآن الكريم من آيات وما سطرته كتب السنة من وقائع وأحداث أن نلخص هذه الهزيمة وكيفية مواجهتها في عدة نقاط

أولا: نص القرآن الكريم على أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) ثم بين القرآن أن هذه الكثرة لا تفيد (فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا) .

ثانيا: بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا وهربوا ما عدا النبي – صلى الله عليه وسلم– ونفر يسير من أصحابهﷺ، قال تعالى: (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ).ففي هذا النص القرآني إبراز لمدى

(١) المصدر السابق ، ص٢٠٤، ٢٠٥.بتصرف،وانظر: معين السيرة، ص٤٢١.

الهزيمة النفسية التي لحقت بالمسلمين في هذا الموقف العصيب، حيث لا تضيق الأرض بما رحبت على صاحبها إلا إذ كان الضيق نابع من نفسه التي بين جنبيه أولا.

قال الإمام النووي : قوله (قال رجل للبراء يا أبا عمارة فررتم يوم حنين؟! قال لا والله ما ولى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح... الحديث) هذا الجواب الذي أجاب به البراء ﷺ من بديع الأدب لأن تقدير الكلام فررتم كلكم فيقتضي أن النبي ﷺ وافقهم في ذلك ،فقال : "البراء لا والله ما فر رسول الله ﷺ ولكن جماعة من الصحابة جرى لهم كذا وكذا.. (١)

ثالثا: وأخيرا بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله –ﷺ في هذه المعركة وأكرمه بإنزال السكينة عليه وعلى المؤمنين فقال تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ). وما تحقق هذا إلا بعد أن رأى من رسوله وصحابته القوة والثبات واحتواء الموقف والسيطرة عليه بما فتح الله عليهم من هديه وتوفيقه.

وصدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم ﴾ (٢)

ثم أكد – سبحانه – على أنه يقبل التوبة من عباده ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: (ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (٣)

---

(١) شرح النووي١٢/١١٧

(٢) سورة محمد–آية ٧

(٣) انظر: المستفاد من قصص القرآن (٤٠٩/٢). (٢) مسلم بشرح النووي (١١٦/١٢، ١١٧)، السيرة النبوية لابن هشام ١٠٤،١٠٥/٥ الروض الأنف ٤/ ٢٠٤، والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ،للدكتور : علي محمد محمد الصلابي بتصرف.

المبحث الثاني

مواجهة الهزيمة النفسية في غزوة الأحزاب [١]

ويمكن تصنيف تلك الغزوة على أنها " دفاعية " بقيادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهدف صد ومنع قريش وحلفائها من اليهود وغطفان وقبائل العرب والأحابيش عن غزو المدينة، وفيها انهزم المشركون ورجعوا خائبين

وأما عن أسباب الغزوة وتفاصيل أحداثها فكتب السنة والسيرة المطهرة قد بسط فيها الكلام لمن أراد الاستزادة [٢] .

وأما ما يعنيني هنا فهو عرض طرفا من الهزيمة النفسية التي وقعت للمجتمع المسلم ثم تسليط الضوء على كيفية مواجهته

وإن الحدث الأعمق في تلك الغزوة والأوقع أثرا في نفوس المسلمين والذي سبب لهم هذه الهزيمة فقد كان من بث روح الضعف والهوان في نفوس المسلمين من بعض منافقي المدينة والذين كانوا أشد خطرا على المسلمين من الكفار ومن اليهود أنفسهم .

ومعلوم للقارئ الكريم أن عبد الله بن أبي بن سلول– رأس المنافقين في المدينة – كان يَحْنَقُ على الإسلام والمسلمين، ولاسيما على رسول اللهﷺ حَنَقًا

---

(١) وتسمى أيضا الخندق ، وقد بوب الإمام مسلم في صحيحه باب غَزْوَةِ الأَحْزَابِ وَهِيَ الْخَنْدَقِ. سميت الخندق لأنها أول معركة تم حفر خندق فيها، وسميت الأحزاب : لتجمع أكبر عدد من يهود المدينة وكفار قريش في تحالف لم يسبق له مثيل، ضد المسلمين ، وقد ذهب جمهور أهل السير والمغازي إلى أنها كانت في شهر شوال من السنة الخامسة على الراجح .. وقال البعض وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري. مغازي الواقدي ٤٤٠/٢،السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٤٤٣.– السيرة النبوية لابن هشام (٢٣٧/٣).

(٢) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٥/٢، الدرر في اختصار المغازي والسير ١٧٩/١، السيرة لابن حبان ٢٥٤/١، مغازي الواقدي٤٥٤/١-٤٨٦

شديداً؛ لأن الأوس والخزرج كانوا قد اتفقوا على سيادته، وكانوا ينظمون له الخَرَزَ ليتوجوه إذ دخل فيهم الإسلام، فصرفهم عن ابن أبي، فكان يري أن رسول الله ﷺ هو الذي استلبه ملكه .

وقد كان له هو وأصحابه في غزوة الأحزاب الدور الأساس في إثارة القلق والاضطراب وإلقاء الرعب والدهشة في قلوب المؤمنين ما قصه الله تعالى في سورة الأحزاب : { وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا } إلى قوله : { يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا }(١)

بيد أن جميع أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين والمشركين كانوا يعرفون جيداً أن سبب غلبة الإسلام ليس هو التفوق المادي وكثرة السلاح والجيوش والعدد، وإنما السبب هي القيم والأخلاق والمثل التي يتمتع بها المجتمع الإسلامي...فجعلوا شخصية الرسول ﷺ أول هدف لهذه الدعاية الكاذبة الخاطئة. ولما كان المنافقون مبثوثون بين صفوف المسلمين، ولكونهم سكان المدينة، كان يمكن لهم الاتصال بالمسلمين واستفزاز مشاعرهم كل حين . تحمل فريضة الدعاية هؤلاء المنافقون، وعلى رأسهم ابن أبي سلول.

فماذا كان من النبي وصحابته تجاه تلك الحرب النفسية التي من الممكن أن تقوض دعائم تلك الدولة الفتيه؟

لقد اتخذ رسول الله وصحابته ﷺ اليقظة والحيطة مسلكا لمواجهة تلك الهزيمة كخطوة أولى، ولما كان المخلصون من صحابة رسول الله متيقظين لما يدور حولهم من مؤامرات لذا فقد كانوا يتتبعون أخبار الأحزاب، ويرصدون تحركاتهم، ويتابعون حركة الوفد اليهودي منذ خرج من خيبر في

(١) سورة الأحزاب–الآيات ١٢– ٢٠

اتجاه مكة، وكان على علم تام بكل ما يجري بين الوفد اليهودي وبين قريش أولا، ثم غطفان ثانيًا، وبمجرد حصول المدينة على هذه المعلومات عن العدو، تأتي الخطوة التالية أو السبيل الثاني من تلك السبل للمقاومة وفيها : شرع الرسول ﷺ في اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة، ودعا إلى اجتماع عاجل حضره كبار قادة جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار، بحث فيه معهم هذا الموقف الخطير الناجم عن مساعي اليهود الخبيثة [١] فأدلى سلمان الفارسي – رضي الله عنه – برأيه الذي يتضمن حفر خندق كبير لصد عدوان الأحزاب، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، قال الواقدي – رحمه الله–: فقال سلمان: يا رسول الله، إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ فأعجب رأي سليمان المسلمين) [٢] .

وعندما استقر الرأي – بعد المشاورة – على حفر الخندق، ذهب النبي ﷺ هو وبعض أصحابه لتحديد مكانه واختار للمسلمين مكاناً تتوافر فيه الحماية للجيش[٣]

ويستفاد من بحث الرسول ﷺ عن مكان ملائم لنزول الجند أهمية الموقع الذي ينزل فيه الجند، وأنه ينبغي أن يتوافر فيه شرط أساسي، وهو الحماية التامة للجند؛ لأن ذلك له أثر واضح على سير المعركة ونتائجها[٤]

---

(١) غزوة الأحزاب، محمد احمد باشميل، ص١٤١–

(٢) مغازي الواقدي (٤٤٤/٢)، والطبقات الكبرى (٦٦/٢)، تاريخ الطبري ٩١/٢، السيرة الحلبية للبرهان الحلبي ٦٣١/٢، فتح الباري ٣٩٣/٧، زاد المعاد ٢٤٠/٣، ٢٥٠/٢

(٣) غزوة الأحزاب، د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص٩٨.– وانظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، المؤلف : علي محمد محمد الصلابي .

(٤) القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص٤٢٦.

لقد كانت خطة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الخندق متطورة، ومتقدمة، حيث شرع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، ولم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم، بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريبًا عنهم، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة لأعداء الإسلام، وأبطل خطتهم التي رسموها، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرية الخطة وسرعة إنجازها، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشتيت قواتهم.

ومن السبل المعنوية لمواجهة الهزيمة النفسية التي قد تلحق بالجنود أثناء القتال أو الاستعداد له ، أنه ﷺ أمر لما علم النبي ﷺ بقدوم جيش الأحزاب وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة، حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء، وقد فعل ذلك ﷺ لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب، فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة، يسخر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية ، ومن سبل المواجهة التي قام بها النبيﷺ مشاركته – عليه السلام – جنده أعباء العمل، فقد شارك الرسول ﷺ الصحابة في العمل المضني، فأخذ يعمل بيده الشريفة، في حفر الخندق.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى ابن إسحاق ، قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يُحَدِّثُ ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى عَنِّي الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنْ التُّرَابِ. يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا** وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا** وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا** وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا (١)

وكان ﷺ يشارك الصحابة ﷺ في آلامهم وآمالهم، بل كان يستأثر بالمصاعب الجمة دونهم، ففي غزوة الأحزاب نجد أنه ﷺ كان يعاني من ألم الجوع كغيره، بل أشد، حيث وصل به الأمر إلى أن يربط حجرًا على بطنه الشريف من شدة الجوع (٢) .

ومن سبل المواجهة التي سلكها النبي- ﷺ رفع معنويات الجنود وإدخال السرور عليهم ،وذلك لما يلاقونه من المشقة في حفر الخندق وحمل التراب على ظهورهم بالإضافة إلى شظف العيش، والخوف الشديد من مداهمة العدو قبل إتمام العمل وإنجازه، فكانﷺ يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب قائلا :

اللهم لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعادي قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا
ثم يمد صوته بآخرها (٣)

وعن أنس – رضي الله عنه – أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون يوم الخندق:

على الإسلام ما بقينا أبدًا ... نحن الذين بايعوا محمدًا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي- باب :غزوة الأحزاب، ١٥٠٧/٤ رقم ٣٨٨٠.
(٢) غزوة الأحزاب، د. محمد أبو فارس، ص١١٦، ١١٧
(٣) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق (٥٧/٥) رقم ٤١٠٦

أو قال على الجهاد والنبي يقول: اللهم إن الخير خير الآخرة... فاغفر للأنصار والمهاجرة [١]

لقد كان لهذا التبسط والمرح في ذلك الوقت أثره في التخفيف عن الصحابة مما يعانونه نتيجة للظروف الصعبة التي يعيشونها، كما كان له أثره في بعث الهمة والنشاط بإنجاز العمل الذي كلفوا بإتمامه، قبل وصول عدوهم [٢]

مع أن المسلمين أخذوا بكافة الاحتياطات في تأمين جبهتهم الداخلية، ومحاولة الدفاع عن الإسلام والمدينة من جيش الأحزاب الزاحف، إلا أن سنة الله الماضية لا نصر إلا بعد شدة، ولا منحة إلا بعد محنة، وكلما اقترب النصر زاد البلاء والامتحان، وقد ازدادت محنة المسلمين في الخندق لأنهم كانوا يخشون من غدر اليهود من بني قريظة ...وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة للعهد، أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ﷺ وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس [٣]، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد، فرجعوا فسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: عضل والقارة [٤]، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم مرادهم [٥] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب (١٤٣٢/٣) رقم ١٢٩

(٢) القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص٤٨٢

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (١٩٩/٣).

(٤) قبيلتان من هذيل سبق منهما الغدر بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذات الرجيع.. معجم البلدان٢٣/٣، فتح الباري ٤١٩/١١

(٥) البداية والنهاية (٩٥/٤)

فانظر أيها القارئ الكريم كيف أن النبي يسلك طريق الستر والرفق بقلوب ونفوس جموع المسلمين في مشهد عملي راق، حيث يقول لمبعوثه الذي أرسله ليؤكد له الخبر" فالحنوا لي لحنًا [١] أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس " [٢] .

ومن سبل المواجهة التي سلكها ﷺ أنه استقبل خبر غدر بني قريظة بالثبات والحزم واستخدام، وكل الوسائل التي من شأنها أن تقوي روح المؤمنين وتصدع جبهات المعتدين، فقام بإرسال (سلمة بن أسلم) في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل، يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير ليرهبوا بني قريظة [٣]

ومما تعرض المسلمون له من هزيمة أن زادت جيوش الأحزاب في تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بني قريظة إليها ، اشتد الكرب على المسلمين، وتأزم الموقف، وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدهور التي أصابت المسلمين ووصف ما وصل إليه المسلمون من جزع وخوف، وفزع في تلك المحنة الرهيبة أصدق وصف، حيث قال تعالى: (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا – هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا) [٤] وكان ظن المسلمين بالله قويًا، وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ

---

(١) أي: قولوا لي قولاً أفهمه ويخفى على غيري. القاموس ٣٦٦/٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١٧٩/٤، السيرة النبوية لابن كثير ١٩٩/٣، سبل الهدى والرشاد ٣٧٤/٤، الروض الأنف٤٢٢/٣.

(٣) السيرة الحلبية (٣٢٣/٢).

(٤) سورة الأحزاب– آية١٠، ١١

اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيمًا) [١]

وأما المنافقون فقد انسحبوا من الجيش، وزاد خوفهم حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط [٢]، وطلب البعض الآخر الإذن لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها عورة، فقد كان موقفهم يتسم بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين، ولكن القرآن الكريم يتكفل بتصوير ذلك أدق تصوير[٣]، والآيات هي: (وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ... إلى قوله تعالى(.. وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً) [٤]

إن الآيات السابقة أشارت إلى النفاق وما تولد عنه من القلق في النفوس، والجبن في القلوب، وانعدام الثقة بالله عند تعاظم الخطوب والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذل المرجف، فهم يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم للانصراف عن ميدان العمل، والقتال بحجج واهية؛ زاعمين أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، وإنما يقصدون الفرار من الموت لضعف معتقدهم وللخوف المسيطر عليهم، بل ويحثون الآخرين على ترك موقعهم والرجوع إلى بيوتهم، ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام [٥]

ومن سبل المواجهة محاولة النبي صلى الله عليه وسلم تخفيف حدة الحصار بعقد صلح مع غطفان وبث الإشاعات في صفوف الأعداء ، لكن

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٢

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ص ٤٥.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة (٤٢٤/٢)

(٤) سورة : الأحزاب–الآيات ١٣–٢٠

(٥) السيرة النبوية الصحيحة (٤٢٥/٢).

بعد رفض سعد بن معاذ زعيم الأنصار لهذا الصلح وتبين للنبيﷺ منه ارتفاع معنوية الأنصار واحتفاظهم بالروح المعنوية العالية، فألغى بذلك ما بدأ به من الصلح مع غطفان(١)

إن قبول الرسولﷺ رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين جنده رباط الثقة، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره، ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه، ومصالحة النبي صلى الله عليه وسلم مع قائدي غطفان تعد من باب السياسة الشرعية التي تراعي فيها المصالح والمفاسد حسب ما تراه القيادة الرشيدة للأمة(٢)

إن موقف الصحابة من عرض هذا الصلح أبان وأظهر ما تمتلئ به الروح المعنوية لدى المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجة بالصبر، والرغبة القوية في قهر العدو، مهما كثر عدده وعتاده أو تعدد حلفاؤه(٣)

ومن السبل أيضا والمقترنة بالبشارات : شدة تضرع الرسول ﷺ، فقد كان رسول اللهﷺ كثير التضرع والدعاء والاستعانة بالله، وخصوصا في مغازيه، وعندما اشتد الكرب على المسلمين أكثر مما سبق حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديدًا

فكان من السبل التي سلكها النبي – ﷺ – أن لجأ إلى الدعاء للتفريج عن جموع المسلمين.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى أَوْفَى قَالَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الأَحْزَابِ فَقَالَ « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢٥/٦).(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠٦/٤).

(٢) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ص٤١٤

(٣) القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص ٤١٥، ٤١٦

الأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ ».[١]

قلت: فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه ﷺ، فأقبلت بشائر الفرج فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة، وألقى الرعب في قلوبهم، وأنزل جنودًا من عنده سبحانه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)[٢].

وأستطيع من خلال ما سبق تلخيص سبل مواجهة الهزيمة النفسية التي تعرض لها المسلمون في تلك الغزوة الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين فيما يلي:

أولاً : مشاورة أصحابه: فقد كان عليه الصلاة والسلام يتخذ كل التدابير وكافة الاحتياطات للعدو، من ذلك مشاوراته لأصحابه مما يجعل الجندي قريباً من الأمير، وفي هذه الحالة يمكن للجندي أن يشارك في صنع بعض القرارات العسكرية ويشير بما يراه، ظهر ذلك في إشارة سلمان الفارسي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب[٣]، وهذا العمل لم يكن معروفاً عند العرب، ولذلك تفاجأت قريش ومن معها عندما رأت الخندق حول المدينة.

ثانياً : الحرب الإعلامية – كما تسمى في عصرنا الحديث – لها دور كبير، وإن لم تكن على عهد النبي ﷺ بهذه الصورة التي في زمننا، لكنها قريبة منها، وذلك كقصة نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه في غزوة

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب٤/١٦٠٩ رقم ٣٨٨٩، .ومسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير ،باب: كراهة تمني لقاء العدو٥/١٤٣ح ٤٦٤١ ، وباب: استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ح٤٦٤٠

(٢) سورة: الأحزاب–آية ٩

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٦٦) معلقا

الخندق عندما خذَّل بين الفريقين المشركين واليهود من بني قريظة بطريقة معينة [١] أدت إلى فشل خطة الفريقين وبالتالي ساهمت في هزيمتهم بفضل الله تعالى

ثالثا : محاولة النبي –عليه الصلاة والسلام– التيقظ لتحركات العدو وما يتعلق به من عدة وعتاد، وذلك بإرسال الجواسيس والعيون لاستطلاع الأخبار.

ومن سبل المواجهة : الاستعانة ببعض الأشخاص في إتمام المهام ، كقيام نعيم بن مسعود الأشجعي بالسعي بين الخصوم ، بحيث أزال الثقة بين الأحزاب[٢]، وكان لجهده الأثر الواضح في تفريق كلمة الأحزاب . فلما تفرقت كلمتهم أخفقوا في مسعاهم [٣]

كل تلك السبل وغيرها من السبل مما هو مبسوط في كتب السنة المشرفة والتي ظهر واضحا أنها لم تنفك عن أحد مسلكين احدهما مادي تمثل في حفره للخندق، ومشاركة الجند في أعمال الحفر، وإرسال الجواسيس، وإعداد العدة، وحراسة الخندق ليلا من هجمات الأعداء ، وحماية الأطفال والنساء في الحصن المنيع ، والآخر معنوي تمثل في تدعيم الثقة والإيمان في قلوب المسلمين، والتواصي بالصبر، والدعاء الدائم، وتسلية الجنود بارتجاز الشعر، ومشاركتهم معاناتهم أثناء الحفر

حتى أتم الله تعالى لهم النصر تحقيقا لموعوده – سبحانه وتعالى– ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٤]

---

(١) انظر تفصيل ذلك في مصنف عبد الرزاق (٥/٣٦٨-٣٦٩) من طريق الزهري عن ابن المسيب مرسلاً.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٤٧ – ٢٤٩

(٣) الرسول القائد ، لمحمود شيت خطاب ، ج ٣ ، ص ٢٣٨

(٤) سورة محمد آية (٧).

المبحث الثالث

سبل مواجهة الهزيمة النفسية عقب حادث الإفك ، وكعب بن مالك في قصة "الثلاثة الذين خلفوا"

توطئة :

إن المنافقين الذين مر الحديث عن بعض طوائفهم منذ أسطر يسيرة في غزوة الأحزاب والذين كان من شأنهم أن انسحبوا من الجيش، وزاد خوفهم حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وطلب البعض الآخر الإذن لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها عورة، فقد كان موقفهم يتسم بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين، وخير مصور لمشاهد تخاذلهم ، هو ما ورد في آيات سورة الأحزاب:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا . وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا . قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ

كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً﴾ [١]

إن الآيات السابقة أشارت إلى النفاق وما تولد عنه من القلق في النفوس، والجبن في القلوب، وانعدام الثقة بالله عند تعاظم الخطوب والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذل المرجف... ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام[٢]

إنهم هم أنفسهم الذين وقعوا في حادث الإفك وكذا كانوا سببا في إغراء بعض المسلمين المخلصين إلى التخلف عن غزوة تبوك والتي هي آخر غزوة في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم –

ويأتي حديثي في هذا المبحث تحت مطلبين:

(١) سورة الأحزاب ، الآيات (١٣–٢٠).

(٢) السيرة النبوية (٤٢٥/٢).

المطلب الأول

سبل مواجهة الهزيمة النفسية عقب حادث الإفك

ذاك الأمر العظيم الخطر في شخصية الجناب النبوي الشريف، إذ يتعلق بإحدى زوجاته – ﷺ – بل أحب زوجاته إليه، وابنة الصديق الأكبر أبي بكر

إن أولئك الشرذمة من المنافقين الذين كانوا سببا في تفتيت عضد الأمة، في فترات طويلة من تاريخها، قد وصل بهم الأمر أن يتطاولوا ويتجرأوا على الخوض في عرضه الشريف ﷺ، وما أشاعوه عن أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها – خير شاهد على أفعالهم المشينة المنكرة.

وإن الناظر في كتاب الله تعالى ، بل الذي يحفظ عددا من سوره ومنها سورة النور، ليستطيع أن يتذكر بوضوح ما جاء في شأن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من حاث الإفك الأثيم الذي تولى كبره شرذمة من المنافقين.

قال ابن كثير :(هذه العشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة،.. وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن) [١] .

والقصة مبسوطة في كتب الحديث والتفسير كما هو في شريف علم القارئ الكريم .

فكيف كان تصرف النبي إزاء هذا الحدث الجلل وتلك الشبهة العريضة

---

(١) تفسير ابن كثير٣/٣٢٧

والتي كادت تطيش لها ألباب ذوي العقول ، بل أصابت النبي ﷺ بشئ من الحيرة واللجج في أمر أهل بيته حتى صار يسأل صحابته في ذلك الشأن.

إن من أهم السبل لمواجهة الهزيمة في مثل هذا الموقف : الثبات على الحق والالتزام به دون تذبذب أو تردد مهما كثر عدد المشككين فيه، وهذا مستنبط مما ساقته لنا كتب السيرة النبوية من أحداث هذا المصاب الجلل الذي كاد أن بعصف بنفوس أكابر الصحابة – رضوان الله عليهم– حيث تعلق بأهم وأشرف ركن وهو الجناب النبوي – ﷺ – بل وتعلق بأخص خصائصه وأصاب أقرب وأحب الناس إليه .

تروي ذلك السيدة عائشة (قالت: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال أسامة: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: "أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟" فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي".. قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، قال: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت

لها فجلست تبكي معي، فبينا نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: "أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبٍ ثم تاب، تاب الله عليه".. وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.. إلى أن قالت: فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: "أبشري يا عائشة .

فواجهت أمنا عائشة –رضي الله عنها– تلك الهزيمة التي ألمت بها بثقتها بالله وحده ،وثباتها على الحق ،وبالإيمان المطلق بأن الله سبحانه وحده هو واهب العزة .

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١)

والصبر في قولها (فصبر جميل) فشبهت حالها بحال سيدنا يعقوب الذي كان واثقا بنصرة ربه له وإعادة ابائه له بعد فقدانهما سنين عددا ، كما كانت تثق بنصرة الله لها ولو بعد حين

–كما واجه النبي الكريم –ﷺ –تلك الهزيمة بعدة إجراءات، منها: الاستشارة لأصحابه في هذا الأمر الخطير ، ومنها: السؤال والتقصي وعدم الانسياق للأكاذيب والافتراءات، ومنها: ضبط النفس والتعامل الراقي مع الموقف، وأهم تلك الإجراءات والسبل الثقة بالله أيضا بأنه سوف يكشف تلك الغمة ويظهر الحق مهما طال ليل الإفك والباطل .

---

(١) سورة: آل عمران- آية ٢٦

وما هو إلا أن اتخذ أصحاب هذا الابتلاء على عاتقهم مواجهة تلك الهزيمة، إلا وجاءهم النصر والبشر من فوق سبع سماوات، وذلك يبدو في قوله –ﷺ– لأم المؤمنين "أبشري" .

وهو أيضا سبيل من أوقع سبل مواجهة الهزيمة النفسية نستطيع أن نعبر عنه بقولنا التعجيل بالبشارة للمنكوب أو المكلوم، ففي هذا ما فيه من انتشال للنفس المكلومة المتألمة من بئر الألم والحزن إلى آفاق الأمل والسرور.

أخرج البخاري في صحيحه... والله عز و جل يشهد إني لصادقة ما ذاك بنافعي عندكم لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم وإن قلت إني فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبا يوسف حين قال { فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} . وأنزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم من ساعته فسكتنا فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول (أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك) . قالت وكنت أشد ما كنت غضبًا، فقال لي أبواي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه .

وكانت عائشة – رضي الله عنها – تقول أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها ، فلم تقل إلا خيرا وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبي وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة .. الحديث [1]

أخرج مسلم في صحيحه ، من حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب : تفسير سورة النور - باب :قوله } إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم4/1780{رقم.4479

أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا: فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَال ﷺ : « أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِى اللَّهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ».قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِى حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً ، فَقُلْتُ لأَبِى أَجِبْ عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺفِيمَا قَالَ. فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِﷺ فَقُلْتُ لأُمِّى أَجِيبِى عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّى وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِى نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّى بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِى بِذَلِكَ وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِى وَإِنِّى وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِى وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِى – قَالَتْ – وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِى بِبَرَاءَتِى .. الحديث [1] .

فالشاهد : ما خاطبها به النبي الكريم ، مذكرا لها بأن باب التوبة مفتوح أمام كل إنسان قد اقترف إثما، أو خطأً سواء كان هذا الفعل من عادته، أو أنه بفعل وسوسة الشيطان وإغوائه له، وجهها بأن تتوب إلى الله تعالى لأنه هو وحده الذي يعلم حقيقة الأمور وهو وحده القادر على أن يغفر للعبد زلاته، وأن الأهم أن يأتي يوم القيامة وقد تاب الله عليه ، حتى يلقاه تقيًا نقيًا .

وكذا يظهر منه ما ألم برسول الله ﷺ من الحيرة ، وعدم التحقق من كنه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب :التوبة – باب : فى حديث الإفك وقبول توبة القاذف8/112 رقم7196، وأخرجه :البخاري ، في صحيحه، كتاب :المغازي- باب : حديث الإفك4/1517 رقم3910، وكتاب :التفسير -باب :تفسير سورة النور4/1774 رقم4473

الأمر وتفاصيله ، وهذا ما نجح المنافقين في الوصول إليه من نيلهم لنفسيته الشريفة ﷺ .

قال الإمام النووي : قوله ﷺ (وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله) معناه: إن كنت فعلت ذنبًا وليس ذلك لك بعادة وهذا أصل اللمم. (١) .

وقال الحافظ ابن حجر: (قوله ﷺ"وإن كنت ألممت بذنب" أي وقع منك على خلاف العادة، وهذا حقيقة الإلمام،... قولهﷺ: فاستغفري الله وتوبي إليه في رواية. .ثم توبي إليه، وفي رواية ..إنما أنت من بنات آدم إن كنت أخطأت فتوبى. قولهﷺ: "فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه" قال: الداودي أمرها بالاعتراف، ولم يندبها إلى الكتمان المفرق بين أزواج النبي ﷺ، وغيرهن فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا يكتمنه إياه لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك بخلاف نساء الناس؛ فأنهن تدين إلى الستر ، وتعقبه عياض: بأنه ليس في الحديث ما يدل على ذلك، ولا فيه أنه أمرها بالاعتراف، وإنما أمرها أن تستغفر الله وتتوب إليه، أي: فيما بينها وبين ربها فليس صريحا في الأمر لها بان تعترف عند الناس بذلك وسياق جواب عائشة يشعر بما قاله الداودي لكن المعترف عنده ليس إطلاقه، فليتأمل. ويؤيد ما قاله عياض أن في رواية حاطب، قالت: فقال أبي إن كنت صنعت شيئًا، فاستغفري الله، وإلا فأخبري رسول الله-ﷺ- بعذرك) (٢).

وانظر كيف شغب حوار المنافقين وحديثهم المسموم على فكر الصديق أبي بكر وهو من هو ، حيث هو أعلم الناس بابنته وما من الممكن أن يقع منها أو لا يقع ، فنجح المنافقون أيضا في النيل من نفسية الصديق أبي بكر

---

(١) شرح النووي17/111

(٢) فتح الباري 8/475 رقم4473

وأما تفاعلها مع خطابه الشريف فقد جاء على وفق ما تعلمه من نفسها من براءتها من هذا الذنب الشنيع الذي تقوله عليها وتولى كبره منافقو المدينة–أنزلهم الله ما يستحقون– فكان جوابها – رضي الله عنها – رغم حداثة سنها آنذاك في غاية الإحكام ، والأدب الراقي حيث فوضت أولا الكلام لأبويها احتراما منها لوجودهما في حضرة رسول الله ﷺ ، مع ما خالطه من الانفعال البشري الطبعي الذي يقتضيه الموقف، حيث توقفت عن البكاء لشعورها بأن رسول الله ﷺ مرتاب في أمرها ولا يعاب هذا عليها، فهي الطاهرة المطهرة .

قال الإمام النووي : قولها (قَلَص دمعى) أي ارتفع لاستعظام ما يعيبنى من الكلام ، قولها لأبويها (أجيبا عنى) فيه تفويض الكلام إلى الكبار لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه وأبواها يعرفان حالها ، وأما قول أبويها (لا ندرى ما نقول) فمعناه أن الأمر الذى سألها عنه لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحى من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى) [1] .

ثم إنها فوضت أمرها لله ﷻ وأوكلت أمر إظهار براءتها إليه سبحانه حينما قالت:(وَإِنِّى وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِى وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)

فالرضا بما كتب الله وقدر وحسن الظن بالله تعالى وانتظار ما هو خير سبيل من سبل مواجهة الهزيمة النفسية .

فكانت ثمرة هذا التفويض وحسن التعامل الجميل مع هذا الموقف العصيب، أن كافئها المولى ﷻ بإنزال براءتها من فوق سبع سماوات ، وذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ

(١) شرح النووي11 /١١٨

خَيْرٌ لَكُمْ ..الآيات ﴾ [1] .

وهكذا صارت البشارة لصاحب المصيبة أو المكلوم جزء أصيل من سبل التعامل مع تلك المصابات في منظومة الفكر الإسلامي .

حتى أكد النبي الكريم هذا المعنى فيما أخرجه البخاري في صحيحه ، بسنده إلى أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لم يبق من النبوة إلا المبشرات) . قالوا وما المبشرات ؟ قال (الرؤيا الصالحة) يراها الرجل أو ترى له.

قال ابن حجر: (والمعنى لم يبق بعد النبوة المختصة بي إلا المبشرات ، ثم فسرها بالرؤيا..) [2].

وقد أكد النبي الكريم هذا المعنى ،بل شوهد وسطر في صفحات كتب السنة المشرفة مواقفا مشهودة مع عدد من صحابته ﷺ ممن وقعت لهم هزائم نفسية نكراء جراء أخطاء ارتكبوها، أو ذنوب ألموا بها ، لكنهم أدركوا خطأ صنيعهم في الوقت المناسب .

فما كان من النبي إلا أن يأخذ بأيديهم وينهض بنفوسهم من خلال تعجيل البشارة بالتوبة عليهم وقبولهم في رحاب ربهم، بعد التحقق من صدق نواياهم وصفاء سرائرهم .

وهذا بالضرورة سيسلمني للحديث عن قصة كعب بن مالك وما وقع له من هزيمة نفسية عقب تخلفه عن غزوة تبوك، حتى نزل فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة النور ، الآيات20 - 11

(٢) فتح الباري ١٩/ ٤٦١

المطلب الثاني

مواجهة الهزيمة النفسية عند كعب بن مالك في قصة "الثلاثة الذين خلفوا".

يظهر ذلك واضحا جليا في موقفه ﷺ من الثلاثة الذين خلفو عن غزوة تبوك ، وهم صحابة كرام لا نملك إلا الترضي عنهم

قال ابن عبد البر: (وأما اختصار حديث كعب بْن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لغير ريبة في الدين، ولا تهمة نفاق، إلا ما كان من علم الله في إظهار حالهم، والزيادة في فضلهم، رويناه من طرق صحيحة لا أحصيها كثرة عن ابن شهاب، وخرجه المصنفون وأصحاب المسانيد، ذكره ابن شهاب، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: وَفِيهِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلا مِنْ تَبُوكَ، ثَابَ إِلَيَّ لُبِّي، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ مَا لَمْ يُرْضِ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي تَخَلُّفِي عَنْهُ... وَجِئْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، وَقَالَ لِي: " مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ أَكُنِ ابْتَعْتُ ظَهْرَكَ؟ " فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْ غَيْرِكَ لَرَجَوْتُ أَنْ أُقِيمَ عِنْدَهُ عُذْرِي لأَنِّي أُعْطِيتُ جَدَلا، وَلَكِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ كَذَبْتُكَ الْيَوْمَ أَطْلَعَكَ اللهُ عَلَيْهِ غَدًا فَفَضَحْتُ نَفْسِي، فَوَاللهِ مَا كَانَ لِيَ عُذْرٌ فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ،... وَمَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَكُمْ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ " فَقُمْتُ وَمَعِي رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي بَنِي سَلَمَةَ، يقولون: مَا عَلِمْنَاكَ أَتَيْتَ قَطُّ غَيْرَ هَذَا الذَّنْبِ، أَفَلا اعْتَذَرْتَ إِلَيْهِ فَيَسَعَكَ مَا وَسِعَ الْمُتَخَلِّفِينَ، وَكَانَ يَكْفِيكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَنْصَرِفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ: هَلْ لَقِيَ مِثْلَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرِي؟ قَالُوا، نَعَمْ، رَجُلانِ قَالا مِثْلَ

مَقَالكَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَمْرِيُّ، وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَصَمَتُّ حِينُ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ خَاصَّةً، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي نَفْسِي وَالأَرْضُ الَّتِي أَنَا فِيهَا، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ بِالأَسْوَاقِ لا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَلا أَسْمَعُهُ يَرُدُّ عَلَيَّ، فَأَقُولُ لَيْتَ شِعْرِي هَلَّ رَدَّ فِي نَفْسِهِ، وَكُنْتُ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، فَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَى السَّلامِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، نَشَدْتُكَ اللهَ هَلْ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَنَاشَدْتُهُ ثَانِيَةً، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ،... حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ أَتَانِي.. فَلَمَّا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةٍ وَأَنَا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي..) (١).

والشاهد أن موقف المسلمين وموقف رسول الله ﷺ من كعب وعدم كلامهم معه وهجرهم له، حتى أتم على هذا الحال أربعين يوما أصابه بهزيمة نفسية جعلته يصف حاله بقوله (حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي نَفْسِي وَالأَرْضُ الَّتِي أَنَا فِيهَا..) وكذا قوله(وَأَنَا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي) وهذا فيه ما فيه من الهزيمة ،بل لقد أكد ذلك القرآن الكريم حينما وصف حالهم بأن الأرض قد ضاقت عليهم بما رحبت، قال تعالى ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير 262-1/258

أَنْفُسُهُمْ ﴾(١)

لقد حاول كعب بشتى الطرق اجتذاب العفو من رسول اللهﷺ بذهابه للمسجد وعدم تركه للصلاة مع المسلمين، بل إلقائه السلام على النبيﷺ ، لكن الرسول الكريم انتظر حكم الله تعالى فيه، لما علمه من صدقه وإخلاصه، وكان من صدق كعب أن انتظر أيضا هذا الحكم وصبر على ذلك، بل التزم بتعاليم رسول اللهﷺ في عدم الاقتراب من زوجه بالمعاشرة، علما بأن هذا أمر خفي لا يطلع عليه معه أحد إلا الله، فكان من ثمرة إخلاصه وصدقه ، أن نزلت توبة الله عليه من فوق سبع سماوات، لتنتشله من تلك الهزيمة النفسية النكراء التي ألمت به جراء تخلفه عن جيش المسلمين.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم ، بسنده الى كعب بن مالك قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِىَ عَنْ كَلاَمِنَا – قَالَ – ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِى ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَىَّ نَفْسِى وَضَاقَتْ عَلَىَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ – قَالَ – فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. – قَالَ – فَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَىَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَىَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِى وَأَوْفَى الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِى الَّذِى سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِى فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَىَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ. فَلَبِسْتُهُمَا فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّانِى النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِى بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– جَالِسٌ فِى الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ

(١) سورة التوبة ، آية118

اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِى وَهَنَّأَنِى وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ. قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لاَ يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ». قَالَ فَقُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَالَ « لاَ بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ – قَالَ – وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ – قَالَ – فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِى أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِى صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ – ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ». قَالَ فَقُلْتُ فَإِنِّى أُمْسِكُ سَهْمِىَ الَّذِى بِخَيْبَرَ – قَالَ – وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِى بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِى أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقًا مَا بَقِيتُ – قَالَ – فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللَّهُ فِى صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– إِلَى يَوْمِى هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِى اللَّهُ بِهِ وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ – ﷺ إِلَى يَوْمِى هَذَا وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِىَ اللَّهُ فِيمَا بَقِىَ. قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِىِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ[1] حَتَّى بَلَغَ) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ[2] قَالَ كَعْبٌ وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِى اللَّهُ لِلإِسْلاَمِ أَعْظَمَ فِى نَفْسِى مِنْ صِدْقِى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ- أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا إِفَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} قَالَ كَعْبٌ وَكُنَّا

(١) سورة التوبة ، آية118

(٢) سورة التوبة ، آية118 ،119

تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنْ الْغَزْوِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.(١)

قال الإمام النووي) : قوله (فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني) فيه استحباب مصافحة القادم والقيام له إكراما والهرولة إلى لقائه بشاشة وفرحا).(٢)

كما أن كعبا اتخذ سبيل الرضا وانتظار حكم الله فيه، وكذا حسن الظن بالله مسلكا من مسالك مواجهة الهزيمة التي أصابته، وألمت به.

فها هنا نجد مسلكا مواجهة الهزيمة التي اتبعتها السيدة عائشة ، وسيدنا كعب بن مالك ،هما: الرضا بما قدره الله وقضاه ، وحسن الظن بالله وانتظار ما هو خير.

كما أن النقد الإيجابي للذات ومحاسبة النفس باعتدال وإنصاف (كما وقع من الثلاثة الذين خلفوا..) ، وتحديدا كعب بن مالك منهم ، مع لزوم الصدق مع الله ومع النفس أحد أهم سبل مواجهة الهزيمة النفسية.

فكانت المكافئة وحيا من السماء يتلى إلى قيام الساعة، ببراءة الصديقة بنت الصديق، وبقبول توبة كعب بن مالك ﷺ بل والإشادة بصدقه الذي كان سببا في قبول توبته، ثم الخطاب لعموم المؤمنين بالتزام مصاحبة الصادقين والحرص على لزومهم.

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي– باب: حديث كعب بن مالك وقول الله عز و جل { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } / التوبة ١١٨ – ٤/١٤٠٦ح٤١٥٦ ،ومسلم في صحيحه ، كتاب: التوبة–باب: حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ. ١٠٥،٨ح٧١٩٢

(٢) شرح النووي على مسلم٩٦/١٧

المبحث الرابع
سيدنا أبو بكر الصديق ومواجهة الهزيمة النفسية
(عقب وفاة النبي ﷺ)

توطئة :

لقد كانت وفاة النبي- ﷺ ولحوقه بالرفيق الأعلى ، قاصمة ظهر للأمة بأسرها، ولكن نظرا لأنه – صلى الله عليه وسلم – المشرع والقائد والمعلم لتلك الأمة فإنه ظل يدعم نفوس المؤمنين ويشد من أذرهم خشية أن ينهزموا بفاجعة وفاته – بأبي هو وأمي- صلى الله عليه وسلم –

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ ، فَقَالَ: ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ ، قَالَ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ ، وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ أَوْ قَالَ فَنَسِيتُهَا".(١)

قال الحافظ ابن حجر: (ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى " .. وبكاء ابن عباس يحتمل لكونه تذكر وفاة رسول الله فتجدد له الحزن عليه ، ويحتمل أن يكون انضاف إلى ذلك ما فات في معتقده من الخير الذي كان يحصل لو كتب ذلك الكتاب، ولهذا أطلق في الرواية الثانية أن ذلك رزية (٢) ، ثم بالغ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي- باب: مرض النبي صلى الله عليه و سلم ووفاته ١٦١٢/٤رقم٤١٦٨، وأخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب: الوصية- باب: تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ.٧٥/٥رقم٤٣١٩

(٢) الرَّزِيَّةُ: المصيبة والجمع "رَزَايَا" وأصلها الهمز يقال "رَزَأْتَهُ" "تَرْزَؤُهُ" مهموز بفتحتين، والاسم "الرُّزْءُ" مثال قفل و"رَزَأْتُهُ" أنا إذا أصبته بمصيبة وقد يخفف فيقال "رَزَيْتُهُ" "أَرْزَاهُ". المصباح المنير١١٩/١، مختار الصحاح ٢٦٧/١، وعون المعبود ١٢٠/١٤

فيها فقال : كل الرزية) [1] أ،هـ

ومع استنكار بعض الصحابة هذا الخطب الجلل لشدة تعلقهم ومحبتهم لرسولهم، تجد أن بعض الصحابة قد ثبتوا وواجهوا تلك الدرجة من الهزيمة، وكان من هؤلاء ابن عباسﷺ فكان يقول:" إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ – ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ ذَلِكَ الْكِتَابَ لاخْتِلافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ"

أخرج البخاري، في صحيحه، بسنده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ، قَالَ: « ائْتُونِي» بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا ، فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: «قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ »، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُ "إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَبَيْنَ كِتَابِهِ" [2]

حيث أوضحت الرواية مدى تأثره العميق بما فاتهم من كتابة وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم–

وكان من تعليمه ﷺ لأهل بيته الصبر على المصيبة والتمهيد لاستقبال خبرها أن سَارَّ فَاطِمَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ بهذا الخطب وأوصاها بأن تكون أهلا لتحمل ذلك.

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قَالَتْ أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ

---

(١) فتح الباري ٢٥٢/١٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب: المغازي– باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ١٦١٢/٤رقم٤١٦٩ ،وأخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب: الوصية– باب: تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ.٧٦/٥رقم٤٣٢٢

حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ "إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي" وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ". (١)

وفي رواية قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِى الَّذِى رَأَيْتِ فَلَمَّا رَأَى جَزَعِى سَارَّنِى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ « يَا فَاطِمَةُ أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِى سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ ».(٢).

ولفظ مسلم "قَالَتْ" فَضَحِكْتُ ضَحِكِى الَّذِى رَأَيْتِ"(٣).

فانظر إلى تعبيرها بقولها:(فلما رأى جزعي) ، وكأنه –ﷺ أراد أن يثبت جنانها لما رآه منها واستشعره من قلة الصبر، ولذا فإنه –عليه الصلاة والسلام– بشرها ببشارة من شأنها أن تنزل السكينة على قلبها، وتثبت دعائم الصبر في قلبها، ألا وهي أنها سيدة نساء العالمين، وأن ذلك من شأنه أن تتحلى بأكمل صفات الإيمان لتستحق تلك المنزلة

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب– باب: علامات النبوة في الإسلام ١٣٢٦/٣رقم٣٤٢٦، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة– باب: فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ١٤٢/٧رقم٦٤٦٧

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب: الاستئذان– باب : من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به٢٣١٧/٥رقم٥٩٢٨ ، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة– باب: فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ١٤٢/٧رقم٦٤٦٧

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب– باب: علامات النبوة في الإسلام ١٣٢٦/٣ رقم٣٤٢٦، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة– باب: فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ١٤٢/٧رقم٦٤٦٧

وقد صرحت رواية الحافظ الطبراني بهذا حيث وروى الطبراني بسنده إلى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنه قال لفاطمة: أن جبرائيل عليه السلام أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم ذرية منك فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرا [١]) [٢].

ومع هذا التمهيد وهذا الدعم المعنوي الذي بذله النبي – صلى الله عليه وسلم– إلا أن الأمر جلل والخطب عظيم، حيث فاضت بكلمات ظهر فيها مرارة الموقف وثقله على نفسها.

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى أَنَسٍ ﷺ قَالَ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ –عَلَيْهَا السَّلَام– وَا كَرْبَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهَا لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ «يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ [٣] » ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام: يَا أَنَسُ، «أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ التُّرَابَ؟» [٤]

قال الحافظ ابن حجر: (قوله : (فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس إلخ) وهذا من رواية أنس عن فاطمة، وأشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٤١٨/٢٢ رقم ١٠٣١، وإسناده (حسن). فيه: يحيى بن أيوب بن بادى الخولانى مولاهم ، أبو زكريا المصرى العلاف شيخ الإمام الطبراني، قال الحافظ ابن حجر : صدوق. من الحادية عشرة مات سنة تسع وثمانين . تقريب التهذيب ٥٨٨/٢ت ٧٥٠٩

(٢) انظر : عمدة القاري ٣٥٠/٢٦

(٣) (ننعاه) مضارع نعى الميت ينعاه نعيا ونعيا بتشديد الياء إذا ذاع موته وأخبر به وإذا ندبه. عمدة القاري ٣٧٣/٢٦

(٤) صحيح البخاري ، كتاب: المغازي– باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ١٦١٩/٤رقم٤١٩٣

إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له ، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك ، إلا أنا قهرناها على فعله امتثالا لأمره) [1]أ،هـ.

وأما عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – الصديقة بنت الصديق فقد كانت وفاته – صلى الله عليه وسلم – في بيتها الشريف تأكيدا على مزيد محبته لها – صلى الله عليه وسلم –

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عَائِشَةَ ، قَالَتْ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ أَيْنَ أَنَا غَدًا اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي [2].

قال الحافظ ابن حجر: (قوله " إن كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليتعذر في مرضه " .

وقد ضبط في روايتنا بالعين المهملة والذال المعجمة أي يتمنع ، وحكى ابن التين أنه في رواية القابسي بالقاف والدال المهملة أي يسأل عن قدر ما بقي إلى يومها ، لأن المريض يجد عند بعض أهله من الأنس ما لا يجد عند بعض.. والمقصود من إيرادهما هنا بيان أنه صلى الله عليه وسلم دفن في بيت عائشة) [3] .

مما جعلها تذكر ذلك متضلعة بالصبر والثبات، وقوة الجنان، مفتخرة بما أولاها به – صلى الله عليه من محبة جعلت آخر عهده بمن حوله من النساء أن قبض في حجر الصديقة عائشة –رضي الله عنها – وهذا مما كان يسليها

---

(١) فتح الباري١٢/٢٧٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز– باب: ما جاء في قبر النبي – صلى الله عليه و سلم – وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما١/٤٦٨رقم١٣٢٣

(٣) فتح الباري ٤/٤٧٢

عن مصابها به .

أخرج البخاري في صحيحه ، بسنده إلى ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي وَفِي نَوْبَتِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ قَالَتْ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكٍ فَضَعُفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَمَضَغْتُهُ ثُمَّ سَنَنْتُهُ بِهِ) [1]

قال الحافظ ابن حجر:(والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها – صلى الله عليه وسلم – ورضي عنها –.

وهذا لا يغاير حديثها الذي قبل هذا أن رأسه كان على فخذها ، لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها) [2]

وكانت ممن شهدن هذا الأمر السيدة عَائِشَةَ–رضي الله عنها– ،

أخرج البخاري في صحيحه ، بسنده إلى عائشة–رضي الله عنها– قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ "إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ"، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ، غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، فَقُلْتُ إِذًا لَا يُجَاوِرُنَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ " [3]

قال الحافظ ابن حجر: (فهم عائشة من قوله ﷺ: " في الرفيق الأعلى " أنه خير نظير فهم أبيها رضي الله عنه من قوله – صلى الله عليه وسلم– : " إن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الخمس– باب: ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما نسب من البيوت إليهن٣/١١٢٩رقم٢٩٣٣

(٢) فتح الباري ١٢/٢٥٥

(٣) صحيح البخاري، كتاب: المغازي– باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ٤/١٦١٣رقم٤١٧٣

عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده " أن العبد المراد هو النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى بكى كما تقدم في مناقبه) [١]

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه دفن ليلة الأربعاء، قال ابن كثير: والمشهور عن الجمهور أنه عليه السلام توفي يوم الإثنين١٢من ربيع الأول سنة ١١ للهجرة بعد الزوال ودفن ليلة الأربعاء، وله – صلى الله عليه وسلم- ثلاث وستون سنة [٢]

ثم يأتي الحديث عن موقف الصديق أبي بكر وسبل مواجهته للهزيمة النفسية تحت مطلبين:

المطلب الأول: موقف الصديق أبي بكر في مواجهة الهزيمة النفسية عقب لحوق النبي- صلى الله عليه وسلم – بالرفيق الأعلى.

لقد كان أشد الأيام سوادًا ووحشة ومصابًا على المسلمين، ومحنة كبرى للبشرية، كما كان يوم ولادته أسعد يوم طلعت فيه الشمس[٣]

أخرج الترمذي في سننه، بسنده إلى أنسﷺ قال : " لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ،ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنركنا قلوبنا "[٤].

قال الملا علي القاري: (حتى أنكرنا قلوبنا، أي: تغيرت حالنا بوفاة رسول الله، وظهور أنواع الظلمة علينا، ولم نجد قلوبنا على ما كانت عليه

---

(١) فتح الباري ٢٥٤/١٢

(٢) البداية والنهاية٢٢٣/٤، ٢٣٧/٥ ، مغازي الواقدي ٨/١

(٣) السيرة النبوية للندوي، ص٤٠٤.

(٤) سنن الترمذي ،كتاب: الفضائل- باب: في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ٥٨٨/٥ح٣٦١٨،و قال أبو عيسى: هذا حديث غريب صحيح، و ابن ماجة في سننه، كتاب: الجنائز- باب: ذكر وفاته صلى الله عليه و سلم٥٢٢/١رقم ١٦٣١، وابن حبان في صحيحه، كتاب: التاريخ- باب: وفاته صلى الله عليه و سلم٦٠١/١٤رقم ٦٦٣٤

من أنوار الصفا والرقة والألفة فيما بيننا لانقطاع مادة الوحي وفقدان بركة صحبته.. قال التوربشتي: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفا والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من رسول الله من التأييد والتعليم ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت من التصديق) [١].

وبكت أم أيمن فقيل لها: ما يبكيك على النبي؟ قالت: إني قد علمت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سيموت، ولكن إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا) [٢].

أخرج الإمام مسلم، في صحيحه، بسنده إلى أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا. فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ فَقَالاَ لَهَا مَا يُبْكِيكِ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ – صلى الله عليه وسلم–. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِى أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ – صلى الله عليه وسلم– وَلَكِنْ أَبْكِى أَنَّ الْوَحْىَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا.[٣]

ولما توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية [٤]

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري١٧/٢٤٤

(٢) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد١٢/٢٩٩

(٣) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة ، باب: مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ رضى الله عنها ٧/١٤٤رقم ٦٤٧٢

(٤) أبوبكر الصديق شخصيته وعصره ٣/ ١٠٨ ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث٤/٢٨٦.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: (... واضطربت الحال .. فكان موت النبي (قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر وقال: ما مات رسول الله وإنما واعده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم (١)

قال الإمام القرطبي: (من أعظم المصائب المصيبة في الدين.. قال رسول الله ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي، فإنها أعظم المصائب» (٢) .

وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، حيث انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه .

لقد أذهل نبأ الوفاة عمر – رضي الله عنه – فصار يتوعد وينذر من يزعم أن النبي مات، ويقول: ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم، والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات (٣) .

---

(١) العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي ٥٤/١، الجانب العاطفي في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٧٢/١

(٢) سنن الدارمي، المقدمة ، باب: في وفاة النبي صلى الله عليه و سلم ٥٣/١ ح ٨٥ ، وإسناده صحيح وهو مرسل ، وقيل سنده إلى عطاء حسن والحديث مرسل ، ووصله ابن ماجه ، وانظر: تفسير القرطبي ١٧٦/٢، طبقات ابن سعد ٢ / ١١٠، سبل الهدى والرشاد ٢٧٣/١٢

(٣) تاريخ الأمم والرسل والملوك ،لابي جعفر الطبري ، ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته ٢٣٢/٢، السيرة النبوية لأبي شهبة (٥٩٤/٢) .

قلت: كان هذا موقف جموع المسلمين من خبر لحوقهﷺ بالرفيق الأعلى فماذا كان من صديقه الصديق؟

يروي لنا أصحاب كتب السنة ما كان من الصديق أبي بكر في هذا الوقت العصيب .

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ [1] . قَالَ إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَالَ {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} وَقَالَ {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين [2]}) [3]

قال الحافظ ابن حجر:(إن حياته – صلى الله عليه و سلم- في القبر لا يعقبها موت بل يستمر حيا والأنبياء أحياء في قبورهم ولعل هذا هو الحكمة

---

(١) منازل بني الحارث من الخزرج بالعوالي بينه وبين المسجد النبوي ميل وكان يسكن هناك الصديق أبي بكر. القاموس المحيط ٢٨٨/١،تاج العروس ٤٨٧/٦، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع٧٦٠/٣، المؤتلف والمختلف للدارقطني٨٦/٢

(٢) سورة آل عمران- آية١٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة- باب: قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (لو كنت متخذا خليلا)١٣٤١/٣رقم٣٤٦٧

في تعريف الموتتين حيث قال "لا يذيقك الله الموتتين" المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء وأما وقوع الحلف من عمر على ما ذكره فبناه على ظنه الذي اداه إليه اجتهاده وفيه بيان رجحان علم أبي بكر على عمر فمن دونه وكذلك رجحانه عليهم لثباته في مثل ذلك الأمر العظيم) [1]

فها أنت ترى أيها القارئ الكريم سبيل مواجهته تلك الهزيمة التي ما تركت مسلما ولا مسلمة إلا وعصفت بنفسيته، المتعلقة حبا لرسول اللهﷺ، لقد أرسى بكلماته دعائم الإيمان في قلوب جموع المسلمين، وذكرهم بأولى ثوابت الدين وأولاها بالتطبيق في هذا الموقف وهو الإيمان بالله الواحد الأحد وبأنه وحده الحي الذي لا يموت، كما ذكرهم بما كانوا يحفظونه فعلا من كتاب ربهم ، ألا وهو أن النبي محمد كغيره من الأنبياء الذين لحقو بالرفيق الأعلى، وإنما أذهلهم عما حفظوه هول الموقف وشدته عليهم.

فالثبات أمام ما كتب الله وقدر وإقناع النفس بالإيمان به وإلزامها إياه أحد سبل مواجهة الهزيمة النفسية، وانضاف إليها ها هنا في موقف الصديق أبي بكر: تذكيرهم بأن الله هو وحده الذي تفرد بالبقاء وأنه جميع من في الوجود مصيره إلى الفناء والهلاك لا محالة، وأن الله هو وحده المعبود لا أحدا سواه.

فكانت خطبته التي ألقاها على جموع المسلمين ومن بينهم الفاروق عمر بن الخطاب بمثابة الثلج والماء والبرد الذي نزل على تلك النفوس التي أنهكها الحزن وصدع جدرانها هول الفاجعة.

لقد كان المسلك إلى المواجهة هنا في مسلك معنوي خالص ، تمثل في : حرصه على زيادة مستوى الإيمان عند بعض من هالهم الموقف ، و تعميق الإيمان لديهم بما كتب الله وقدر، حيث ظهرت شخصية الصديق الحقيقية والتي أثبت من خلالها أن الرأفة التي وصفه بها سيدنا محمد–صلى الله عليه

(١) فتح الباري ٣٠/٧

وسلم- لا يتنافى مع قوة التحمل.

ظهر ذلك حينما انهزمت نفسية الفاروق عمر-رضي الله عنه- عند سماعه خبر وفاة سيد الخلق ، ولم يكن الفاروق عمر هو صاحب تلك الصدمة وحده، وإنما جموع المسلمين،

إلا أن التاريخ دائما ما يذكر كلام العظماء ويخلده حرفا حرفا، وقد كان الفاروق عمر-رضي لله عنه- أحد هؤلاء العظماء، فحينما صدع بقولته الشهيرة: (وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)

حينها ، قام أبو بكر الصديق بما يجب فعله في هذا الموقف العصيب ،من رجل مثله ، فوقف في وجهه راسخا ، ثابتا ، قائلا:

(من كان يعبد محمد فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) [1]

أخرج البخاري ،في صحيحه ، بسنده إلى الزُّهْرِيُّ قال وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ اجْلِسْ يَا عُمَرُ فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى قَوْلِهِ الشَّاكِرِينَ} وَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَاتُقِلُّنِي رِجْلَايَ وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة- باب: قول النبي – صلى الله عليه وسلم- (لو كنت متخذا خليلا)٣/١٣٤١رقم٣٤٦٧، وكتاب: الجنائز- باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه١/٤١٩رقم١١٨٥

سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ . (١)

فانظر إلى وقع تلك الكلمات الصادرة من نفسية راسخة بالإيمان وقوية لتقبل وتحمل ما كتب الله وقدر، وكيف كان لها عظيم الأثر على نفسية الفاروق عمر، حيث صرح بأنه لم يصدق ولم يقتنع بأن النبي ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى إلا حينما تلا عليه الصديق الأكبر أبو بكر تلك الآية الكريمة، وكأنه لأول مرة يسمعها.

قال القرطبي: (هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجرأة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي – صلى الله عليه وسلم–..فظهرت عنده شجاعته وعلمه) (٢)

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي – باب : مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته٤/١٦١٨رقم ٤١٨٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٤/٢٢٢، تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق ١/١٢١

المطلب الثاني

موقفه – رضي الله عنه – تجاه المرتدين بعد وفاة النبي– صلى الله عليه وسلم –

توطئة :

لقد وردت آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة أشارت إلى خلافة الصديق[١] وأجمع أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي (أبو بكر الصديق لفضله وسابقته ولتقديم النبي (إياه في الصلوات على جميع الصحابة وقد فهم أصحاب النبي (مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة فأجمعوا على تقديمه في الخلافة[٢].

وقد ثبت بالأدلة والحجج من خلال سيرة الصديق بأن أبا بكر كانت شروط خلافة النبي متحققة فيه[٣].

وقد كان الصديق من أعلم الناس بالله وأخوفهم له، وقد اتفق أهل السنة على أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكي الإجماع على ذلك غير واحد، وسبب تقدمه على كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي–صلى الله عليه وسلم– (فقد كان أدوم اجتماعاً به ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، وكان يسمر عند النبي بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين، وقد استعمله النبي (على أول حجة حجت من مدينة النبي (وعلم المناسك أدق ما في العبادات،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة– باب: قول النبي –صلى الله عليه وسلم– (لو كنت متخذا خليلا) ١٣٣٨/٣رقم ٣٤٥٩، و أخرجه مسلم، في فضائل الصحابة– باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه رقم ٢٣٨٦

(٢) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة– باب: فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ١٣٣٧/٣رقم٣٤٥٥

(٣) المصدر السابق .

ولولا سعة علمه لم يستعمله، وكذلك الصلاة استخلفه عليها ولولا علمه لم يستخلفه ولم يستخلف غيره لافي حج ولافي صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ما روي فيها، وعليه اعتمد الفقهاء وغيرهم في كتابة ما هو متقدم منسوخ، فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصاً، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم [١] .

وقد كان للصديق الأكبر أبو بكر الصديق قدم السَبْق في مواجهة بعض الهزائم النفسية التي تعرض لها المسلمون مبكرا، منها ما كان قبل توليه الخلافة، ومنها ما كان بعدها بقليل، ويكاد يكون العامل المشترك الذي أدى إلى هاتين الهزيمتين على حد سواء هو عظم وفاة النبي الكريم- صلى الله عليه وسلم- والذي تصدعت له أركان الأمة وأظلمت له مدينته التي أنارت بهجرته إليها قبل ذلك – صلى الله عليه وسلم-

وقد مضى في السطور السابقة وتحت المطلب الأول الحديث عن مواجهته لهزيمة المسلمين النفسية إثر وفاة النبي ﷺ

وأما ثاني تلك الهزائم في عصر الصديق أبي بكر ﷺ والتي قام بمواجهتها مواجهة حاسمة، هي: تلك المتعلقة بحروب الردة[٢] ويأتي الكلام عنها تحت المطلب الثاني، فأقول وبالله التوفيق .

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٥/١١٧-١١٨) .

(٢)هي تلك الحروب التي وقعت بعد وفاة النبي- ضد البعض ممن ارتدو عن دينهم، وكذا من منعوا الصلاة والزكاة.

المطلب الثاني

موقفه – رضي الله عنه – تجاه المرتدين

قلت: لم يكد المسلمون ينتهون من هذه الأزمة حتى واجهوا أزمة أخرى أشد؛ فالأولى لم تكن تتطلب إلا شيئًا من الكياسة وحسن الرأي والوقوف على الحل الصحيح، أما الثانية وهي الردة فإنها كانت تتطلب إعداد الجيوش وتعبئة قوة المدينة الحربية والمعنوية، وفي أثناء هذه الأزمة ظهرت بطولة أبي بكر حتى كان ابنه محمد يقول مفاخرًا فيما بعد بأنه ابن فاقئ الردة وحتى قال بعض الناس: إنه لم ير أحدًا بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أملأ بالحرب من أبي بكر، وواضح أن السبب المباشر في هذه الأزمة هو موت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد سبق إلى ظن الناس أنه لن يقوم مقامه أحد، وأن الفراغ الذي تركه أكبر من أن يسد، وأن النظام الجديد لا يمكن أن يدوم بعده، وأن الخطوة الجبارة التي خطاها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالعرب خطوةٌ كانت تحتاج إلى دوام صاحبها، ولهذا سارع العرب برغم إعجابها بالروح القومي الذي بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – وقلدت القبائل بعضها بعضًا، وانتشر الارتداد في كل مكان حتى لم تبق قبيلة إلا وفيها جماعة كبيرة مرتدة، وغالت بعض القبائل فأرادت أن يكون لها ما لقريش بمعنى أن يكون منها نبي كما كان من قريش نبي، وأن تجتمع إلى زعامتها كما اجتمعت إلى قريش، ولم يثبت على النظام الجديد إلا مثلث: المدينة ومكة والطائف، غير أن المرتدين بطبيعة حركتهم ولحسن حظ يثرب لم يكونوا ليتضامنوا فيما بينهم، فالأزمة في الواقع ترجع إلى النزوع إلى الاستقلال وإلى رفض التضامن، وكانت الهزيمة التي أصابت المرتدين آخر الأمر دليلًا على أن النظام الجديد قد أصبح قويًّا جارفًا، وعلى أن حركة الردة برغم عنفها وشمولها لم تستطع أن تنال من النظام الجديد شيئًا [1]

(١) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم ١/٤٢٥-٤٢٦

ولقد ارتد كثير من العرب عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: [1]

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما ، واللفظ لمسلم بسنده إلى أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ لَمَّا تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأَبِى بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِى عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ [2].

وقبل أن أشرع في عرض الإجراءات التي قام بها سيدنا أبا بكر الصديق لدرء تلك الهزيمة ودحرها، لابد من عرض أقوال العلماء في مقصود الحديث والمناقشة التي قامت بين خليفتي رسول الله ﷺ ، حتى انتهيا إلى إقرار قرار الحرب ضد هؤلاء المرتدين.

قال القاضي عياض: (وفيه الحجةُ للقول بالعموم لاحتجاج أبى بكر بقوله: (إلا بحقها). وقوله لعُمَر : (فإن الزكاة حقُّ المال) ، وقد أجمع المسلمون على قتل الممتنع عن أداءَ الصلاة والزكاة مكذبا بهما ، وجمهورهم على قتل

---

(١) الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة لابن كثير ٦/٣٢٠-٣٢١، وانظر كتاب: حقبة من التاريخ، لعثمان بن محمد الخميس ١/٦٨

(٢) صحيح البخاري ، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه و سلم٦/٢٦٥٧رقم٦٨٥٥، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان–باب الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.١/٣٨رقم١٣٣

الممتنع من الصلاة أو المتهاون بها مع اعترافه بوجوبها ، وأجمعوا على قتال الممتنع عن أداء الزكاة ..، فهى دعائم الإسلام ، فمن جحد واحدة منها كفّر ، ومن ترك واحدة منها لغير عذر وامتنع من فعلها مع إقراره بوجوبها قُتل عندنا وعند الكافة ، وأخذت الزكاة من الممتنع كرهاً وقوتل إن امتنع ، إلا الحج لكونه على التراخى .

قال القاضي: كان أهلُ الردَّةِ ثلاثةَ أصناف :

صنْفٌ : كفَرَ بعد إسلامه ، وعاد لجاهليته ، واتَّبَعَ مُسَيْلِمَةَ وَالعَنْسِيَّ ، وصدَّقَ بهما.

وصنفٌ : أقرَّ بالإسلام إلا الزكاة فجحدها ، وتأوَّلَ بعضُهُمْ أنَّ ذلك كان خاصًّا للنبيِّ – صلى الله عليه وسلم – ؛ لقولِهِ تعالى : ُ – لله ، ِ الآية.

وصنفٌ : اعترَفَ بوجوبِها ولكنِ امتنع مِنْ دفعها إلى أبي بكر – رضى الله عنه – ، وقال : إنما كان قَبْضُهَا للنبيِّ – صلى الله عليه وسلم ــ خاصَّةً لا لغيره ، وفرَّقوا صدقاتِهم بأيديهم.

فرأى أبو بَكْرٍ والصحابةُ ــ رضى الله عنهم ــ قتالَ جميعِهم : الصِّنْفانِ الأَوَّلانِ لِكُفْرهم ، والثالثُ لامتناعهم.

ولا يصح أن يكون خلافًا بين الصحابة في قتال الصنف الأول إذ هم كفار بغير خلاف ، وإنما وقع النزل أولاً في هذين الصنفين الآخرين إذ هم متأولون، ولعذرهم بجهلهم بحقيقة أركان الشريعة لقرب عهد كثير منهم بالإسلام ، وقِصَر مُدتهم فيه، وأما الآن فقد وقع الإجماع أنه من جحد فريضةً من الفرائض فهو كافر قال الشيخ أبو العباس القرطبي : وهذا الصنفُ الثالثُ هم الذين أشكَلَ أمرُهم على عمر – رضى الله عنه –، فباحَثَ أبا بكرٍ – رضى الله عنه – في ذلك حتَّى ظهَرَ له الحقُّ الذي كان ظاهرًا لأبي بكر ، فوافقه على ذلك؛ ولذلك قال : فَوَاللهِ! مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللهَ تَعَالَى قَدْ شَرَحَ

صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ ، أي : ظَهَرَ له من الدليل ، وحصلَ له من ثَلَجِ الصدر وانشراحِهِ لذلك ، مثلُ الذي حصلَ لأبي بكر – رضى الله عنه – ، لا أنَّه قلَّده واتَّبَعَهُ من غير دليل ؛ لأنَّ التقليد لا ينشرحُ به الصدرُ ، ولا يُعْرَفُ به الحقُّ ، ولأنه لا يجوزُ لمجتهدٍ أن يقلِّد مجتهدًا عند تمكُّنِهِ من الاجتهادِ.

ثُمَّ إنَّ أبا بكر – ﷺ – قاتَلَ جميعَ المرتدِّين الثلاثة الأصناف ، وسَبَى ذراريهم ؛ قال القاضي : وحكَمَ فيهم بحكم الناقضين للعهد ، فلمَّا تُوُفِّيَ أبو بكرٍ ووَلِيَ عمر – رضى الله عنهما – ، رَدَّ عليهم سَبْيَهُمْ ، وحكَمَ فيهم بحكم المرتدِّين ، وكان أبو بكر – رضى الله عنه – يرى سَبْيَ أولاد المرتدِّين ..، وكان عمر – رضى الله عنه – يرى أنهم لا يُسبَوْنَ ، ولذلك ردَّ سبيهم ؛ وبهذا قال جمهورُ العلماءِ وأئمَّةُ الفتوى.

ويستفاد مِنْ فعل عمر ــ رضى الله عنه ــ ، وحُكْمِهِ : أنَّ الإمام العدلَ المجتهِدَ إذا أمَرَ بأمر، أوْ حكم بحكم ، وجبَتْ موافقتُهُ على الجميع ، وإنْ كان فيهم مَنْ يرى خلافَ رأيه ، بل يجبُ عليه تركُ العمل والفُتْيَا بما عنده وإن اعتقَدَ صِحَّته ، فإنْ عاد الأمرُ إليه ، عَمِلَ على رأيه الذي كان يعتقده صوابًا [(١)].

قلت: وأما عن صورة مواجهة الصديق لتلك الهزيمة النفسية الواضحة لهؤلاء المرتدين والتي جعلتهم ينقلبون رأسا على عقب ويرتابون في شرائع دينهم، بل والبعض في عقيدتهم، لقد كانت هذه الهزيمة من أعتى الهزائم التي واجهة المخلصين من قواد هذه الأمة فكان لابد من وقفة صارمة تمثلت هنا

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض١/١٨٠، ١٨١، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم١/١٠٠ ، جامع العلوم والحكم لابن عبد البر ١/٨٦

في إعداده – رضي الله عنه – العدة وإصدار الأوامر بقتال [1]. هؤلاء وردعهم عما انتهوا إليه من الردة عن الدين بالكلية، أو حتى بنكران بعضا منه متمثلا في منعهم للزكاة جراء هزيمتهم بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم–

وقبل اتخاذ هذا الإجراء، التنظيم الدقيق، وحسن الإعداد للجيوش الإسلامية التي عقد لها الصديق الألوية –، قام بكتابة كتاب أوضح فيه مقصده، وحذر وتوعد من يخالفه، كان قوي اللهجة ،شديد الوقع ، بما يتناسب مع حالهم من الجحود والنكران.

لقد كتب ﷺ كتاباً واحداً إلى قبائل العرب من المرتدين والمتمردين، فدعاهم إلى العودة إلى الإسلام وتطبيقه كاملاً كما جاء من عند الله تعالى ثم حذرهم من سوء العاقبة فيما لو ظلوا على ما هم عليه في الدنيا والآخرة، وكان قوياً في إنذارهم، وهذا هو المناسب لشدة انحرافهم وقوة تصلبهم في التمسك بباطلهم، فكان لابد من إنذار شديد يتبعه عمل جرئ قوي لإزالة الطغيان الذي عشَّش في أفكار زعماء تلك القبائل والعصبية العمياء التي سيطرت على أفكار أتباعهم، وقبل تسيير قواته لمحاربة الردة وبعث رجالاً إلى محل القبائل وأمرهم بقراءة كتابه في كل مجمع وناشد من يصله مضمون الكتاب بتبليغه لمن لم يصل إليه وحدد الجمهور المخاطب به بأنه:

---

(١) قلت: وقد تمسك عدد من أعداء الدين بهذه الوقائع التي سطرتها كتب السنة ، بأن جهاد أبي بكر والصحابة رضي الله عنهم للمرتدين من جملة أعمال الإرهاب التي يحمل عليها التكفير، وهذا ما لا يرتضيه مسلم، فضلا عن كونه باحثا في مجال العلوم الشرعية، وأغلب الظن أن من تزعم تلك الحملات قد استندوا في حملاتهم أو كتاباتهم على مصادر غير أمينة أو معتمدة عند علماء المسلمين.
ويأتي الرد على هؤلاء في نهاية هذا المطلب.

العامة والخاصة، من أقام على إسلامه أو رجع عنه [١] .

وكان نص كتابه الذي كتبه بعد عودته إلى المدينة كالآتي:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ، أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْهَوَى، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكُمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نُقِرُّ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَنُكَفِّرُ مَنْ أَبَى ذَلِكَ وَنُجَاهِدُهُ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللهَ أَرْسَلَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَهَدَى اللهُ بِالْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ، وَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ، حَتَّى صَارَ إِلَى الْإِسْلَامِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، ثُمَّ تَوَفَّى اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نَفَذَ لِأَمْرِ اللهِ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، وَكَانَ اللهُ قَدْ بَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ فَقَالَ: [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ] [٢] .

وَقَالَ: [وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ] [٣].

[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ] [٤].

---

(١) أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره٤٠/٤ (١٨٣) ، التاريخ الإسلامي (٢١٣/٩) نقلاً عن فتوح الشام للأزدي، ص٣٠-٣١

(٢) سورة الزمر-آية ٣٠

(٣) سورة الْأَنْبِيَاء- آية ٣٤

(٤) سورة آل عِمْرَانَ-آية ١٤٤

فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، حَافِظٌ لِأَمْرِهِ، مُنْتَقِمٌ مِنْ عَدُوِّهِ، وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَحَظِّكُمْ وَنَصِيبِكُمْ، وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَأَن تَهْتَدُوا بِهُدَاهُ، وَأَن تَعْتَصِمُوا بِدِينِ اللهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللهُ ضَالٌّ، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يُعِنْهُ اللهُ مَخْذُولٌ، وَمَنْ هَدَاهُ غَيْرُ اللهِ كَانَ ضَالًّا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: [وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا] (١)، وَلَنْ يُقْبَلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يُقِرَّ بِهِ وَلَمْ يُقْبَلْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَقَدْ بَلَغَنِي رُجُوعُ مَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقَرَّ بِالإِسْلَامِ، وَعَمِلَ بِهِ، اغْتِرَارًا بِاللهِ وَجَهْلًا بِأَمْرِهِ، وَإِجَابَةً لِلشَّيْطَانِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا] (٢)

وَقَالَ: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ] (٣)

وَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، وَأَمَرْتُهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَجَابَ وَأَقَرَّ وَعَمِلَ صَالِحًا قَبِلَ مِنْهُ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَبَى حَارَبَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ، ثُمَّ لَا يُبْقِي عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَأَنْ

---

(١) سورة الكهف – آية ١٧

(٢) سورة الكهف – آية ٥٠

(٣) سورة فاطر – آية ٥

يُحَرِّقَهُمْ بِالنَّارِ وَأَنْ يَقْتُلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ، وَأَنْ يَسْبِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَ الْإِسْلَامِ، فَمَنِ اتَّبَعَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَنْ يُعْجِزَ اللهَ، وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَهُ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ، وَالدَّاعِيَةُ الْأَذَانُ، فَإِذَا أَذَّنَ الْمُسْلِمُونَ فَكُفُّوا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُؤَذِّنُوا فَسَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ، وَإِنْ أَقَرُّوا حُمِلَ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ »[١] ، [٢] .

وكما هو واضح فقد كان خطاب أبي بكر موجه في عنصرين رئيسين:

أ – بيان أساس مطالبة المرتدين بالعودة إلى الإسلام.

ب – بيان عاقبة الإصرار على الردة [٣]

وقد أكد الكتاب على عدة حقائق هي:

* أن الكتاب موجه إلى العامة والخاصة ليسمع الجميع دعوة الله.
* بيان أن الله بعث محمداً بالحق فمن أقر به كان مؤمناً، ومن أنكر كان كافراً يجاهد ويقاتل.
* بيان أن محمداً، بشر قد حق عليه قول الله: إنك ميت، وأن المؤمن لا يعبد محمداً (وإنما يعبد الله الحي الباقي الذي لا يموت أبداً، ولذلك لا عذر لمرتد [٤]
* إن الرجوع عن الإسلام جهل بالحقيقة واستجابة لأمر الشيطان، وهذا يعني أن يتخذ العدو صديقاً، وهو ظلم عظيم للنفس السوية، إذ يقودها صاحبها بذلك إلى النار عن طواعية.

---

(١) الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة٦/٣٢٠ ، العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي ١/٦٠، تاريخ الأمم والرسل والملوك١/٢٣٢ ، فتوح الشام للأزدي، ص٣٠–٣٣ نقلاً عن الحميدي.

(٢) خطب أبي بكر الصديق، محمد أحمد عاشور، ص٩٢

(٣) فتوح الشام للأزدي، ص٣٣–٣٥

(٤) المصدر السابق، ص٣٥–٣٨ بتصرف

* إن الصفوة المختارة من المسلمين وهم المهاجرون والأنصار وتابعوهم هم الذين ينهضون لقتال المرتدين غيرة منهم على دينهم، وحفاظاً عليه من أن يهان.
* إن من رجع إلى الإسلام، وأقر بضلاله، وكف عن قتال المسلمين وعمل من الأعمال ما يتطلبه دين الله، فهو من مجتمع المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم.
* إن من يأبى الرجوع إلى صف المسلمين، ويثبت على ردته، إنما هو محارب لابد من شن الغارة عليه: تقتله أو تحرقه وتسبي نساءه وذراريه، ولن يعجز الله بأية حال، لأنه أنى ذهب، في ملكه (١) .

فكان مسلك مواجهة هذه الهزيمة هنا هو: القوة في وضوح التعامل مع الحدث دون موارية أو تربيت أو هروب وهو مسلك معنوي ، وفي مقدمة هذا المسلك مسلك أول مادي تمثل في : إعداد الجيوش وتجهيز العدة لذلك.

فها هنا نجد أن السبيل لمواجهة تلك الهزيمة التي لحقت بالمسلمين والتي كان من جراءها ارتدادهم عن دينهم ، وتوقفهم عن أداء الصلاة ومنعهم للزكاة التي حق حقوق لله عز وجل، كان في الاعتزاز بالانتماء للدين دون غيره، والثبات عليه وعلى الإيمان بوحدانية الله تعالى دون تعليق الإيمان على حياة بشر أو كائن من الكائنات، لأن الباقي الحي هو الله سبحانه ، والذي شرع الشرائع وبعث الرسل.

تحقيقا لقوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾

قلت: ويجمل بي وختاما لهذا المقام أن لا أذكر بما كان من موقف أعداء

(١) التاريخ الإسلامي ٩/٢٢٤.

الإسلام من المستشرقين أو تلامذتهم، حيث تمسكوا بما قرأوه عن هذه المواقف التي سجلتها لنا كتب التاريخ الإسلامي غير أنهم قرأوها من مصادر غير معتمدة أو موثوقة مما شوه لدى أذهانهم الصورة الصحيحة لما فعله الصحابة، وجعلهم يتهمونهم – رضوان الله عليهم– بأنهم أول من تزعم فكرة الإرهاب ونشر الإسلام بحد السيف.

أما عن الصديق أبي بكر ومنزلته فقد تقدم الكلام عليه في أول المبحث، وأما عن الحروب التي قادها والتي وقعت ألسنة البعض في شخصه الكريم بسببها، فنرد عليهم بما يلي:

أولا: لقد كانت حروب الردة التي قادها ورفع لواءها الصِّدِّيق رضي الله عنه واحدةً من نعم الله على الأمة المحمدية ، والتي حفظ الله بها دين الإسلام من الانزواء والتلاشي، كما أنها كانت من أعظم محامد أبي بكر وأجل مناقبه.

ثانيا: لقد جاءت تزكية حروب الردة والثناء على من رفع لواءها وشارك فيها في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الإمام أبو جعفر الطبري :(ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين، وأبدل المؤمنين مكانَ من ارتدَّ منهم.

فقال بعضهم: هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه. اختار ذلك علي والحسن والضحاك

(١) سورة المائدة :آية ٥٤

وقتادة وابن جريج) [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :(فلما قبض الله نبيه وصار كل منهما خليفة على المسلمين خلافة نبوة كان من كمال أبي بكر رضي الله عنه أن يولى الشديد ويستعين به ليعتدل أمره ويخلط الشدة باللين فإن مجرد اللين يفسد ومجرد الشدة تفسد ويكون قد قام مقام النبي صلى الله عليه و سلم فكان يستعين باستشارة عمر وباستنابة خالد ونحو ذلك، وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولهذا اشتد في قتال أهل الردة شدة برز بها على عمر وغيره حتى روى أن عمرﷺ قال له" يا خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– تألف الناس" فقال علام أتألفهم أعلى حديث مفترى أم على شعر مفتعل) [٢].

وقد كان حكم أبي بكر بردة الذي منعوا الزكاة ، بعد أن كانوا يأدونها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– هو الحق الذي سبق لإصابته قبل غيره من الصحابة ، فكان مقدماً عليهم ، كما كان مقدماً في غيره من المواقف ، حتى رجعوا إلى قوله ، وأجمعوا على سداد رأيه وصحة فعله . [٣].

وفي مثل هذه المسألة يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : (واستقر الإجماع عليه في حق من جحد شيئا من الفرائض بشبهة فيطالب بالرجوع فإن نصب القتال قوتل وأقيمت عليه الحجة ، فإن رجع وإلا عومل معاملة الكافر حينئذ.. وقال القاضي عياض : يستفاد من هذه القصة أن الحاكم إذا أداه اجتهاده في أمر لا نص فيه إلى شيء تجب طاعته فيه ولو اعتقد بعض المجتهدين خلافه ، فإن صار ذلك المجتهد المعتقد خلافه حاكما وجب عليه

---

(١) تفسير الطبري١٠/٤١١

(٢) منهاج السنة ١٣٨/٦، ١٣٩

(٣) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه٣/٧١

العمل بما أداه إليه اجتهاده وتسوغ له مخالفة الذي قبله في ذلك، لأن عمر أطاع أبا بكر فيما رأى من حق مانعي الزكاة مع اعتقاده خلافه ثم عمل في خلافته بما أداه إليه اجتهاده ووافقه أهل عصره من الصحابة وغيرهم) [١].

رابعًا: قد فات من ينكر حكم الردة أن التكفير حكم شرعي ،لا ولن يستطيع أحدٌ إبطاله ما بقيت السموات والأرض ،قال تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ..﴾ [٢]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[٣]

وأخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عِكْرِمَةَ ، قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– بِزَنَادِقَةٍ ، فَأَحْرَقَهُمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ: "لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ، ولَقَتَلْتُهُمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"[٤]

قلت: وقد ترجم الإمام البخاري–رحمه الله– بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} وَأَنَّ الْمُشَاوَرَةَ قَبْلَ الْعَزْمِ وَالتَّبَيُّنِ لِقَوْلِهِ {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْمُقَامِ وَالْخُرُوجِ فَرَأَوْا لَهُ الْخُرُوجَ فَلَمَّا لَبِسَ لَأْمَتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا أَقِمْ فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْعَزْمِ.. وَكَانَتْ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الْأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا فَإِذَا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ

---

(١) فتح الباري١٩/٣٨٢

(٢) سورة المائدة –آية ٧٣

(٣) سورة البينة– آية ٦

(٤) صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم– باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم١٧/٣٣٤رقم ٦٩٢٢

ﷺ وَرَأَى أَبُو بَكْرٍ قِتَالَ مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ ، فَقَالَ عُمَرُ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " ثُمَّ تَابَعَهُ بَعْدُ عُمَرُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مَشُورَةٍ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ حُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَرَادُوا تَبْدِيلَ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَشُورَةِ عُمَرَ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ(١)

نعم قد وقع إخلال كبير في تطبيق هذا الحكم ، حتى أطلق على من ليس له بأهل، وسبب ذلك أن الذين اجترءوا عليه هم غير العلماء ، ولذا فلا يجوز أن يتكلم فيه إلا هم، ولا ريب أن أعلم الخلق بعد النبيين هو أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، بشهادة الصحابة رضي الله عنهم، أخرج البخاري ،في صحيحه، بسنده إلى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ (وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا)، قَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ" (٢)

ولفظ مسلم بسنده إلى أَبِى سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٦٨١/٦

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الصلاة– أبواب المساجد–باب: الخوخة والممر في المسجد ١٧٧/١رقم٤٥٤

فَقَالَ « عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» . فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى فَقَالَ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَىَّ فِى مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ لاَ تُبْقَيَنَّ فِى الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِى بَكْرٍ».(١)

وأختم الكلام عن مقام الصديق أبي بكر–رضي الله عنه– بما قاله الحافظ ابن حجر في تعليقه على بعض جمل هذا الحديث الشريف

قال الحافظ ابن حجر: (وأخوة الإسلام ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب ، ولأبي بكر من ذلك أعظمه وأكثره ،..وفي قوله : " ولو كنت متخذا خليلا إلخ " منقبة عظيمة لأبي بكر لم يشاركه فيها أحد . ونقل ابن التين عن بعضهم أن معنى قوله : " ولو كنت متخذا خليلا " لو كنت أخص أحدا بشيء من أمر الدين لخصصت أبا بكر) (٢)

رضي الله عن سيدنا الصديق الأكبر أبا بكر الصديق وعن صحابة رسول الله أجمعين.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة– باب: مِنْ فَضَائِلِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضى الله عنه.٧/١٠٨رقم٦٣٢٠

(٢) فتح الباري ١٠/٤٥١

المبحث الخامس

سيدنا عمر بن الخطاب ومواجهة الهزيمة النفسية

(عام الرمادة)، و(طاعون عمواس)

توطئة:

لقد كان عمر – رضي الله عنه – ممن أوتي علماً كبيراً وفقهاً عظيماً. ولا شكّ أن ما اتصف به عمر رضي الله عنه من صدق الإيمان بالله واليقين التام وخلوص العقيدة من الشرك بأنواعه والبدع والشبهات وما اتصف به كذلك من حسن الالتزام بشعائر الدين والتقرب إلى الله تعالى بأنواع القربات من أسباب سعة علمه وفقهه رضي الله عنه . فقد شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب" ، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: "العلم"(١)

وإن المطالع لعدد من كتب السير وتاريخ دولة الإسلام المجيد ليجد أن من أعتى حوادث الدهر وأشدها على المسلمين آنذاك ، هو ما وقع في زمنه- رضي الله عنه وأرضاه -من جدب وقحط ، ثم ما تلاه من وباء ومرض عرف بالطاعون

فإذا أردنا إلقاء الضوء على هاتين الهزيمتين من الهزائم التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية فإنه لا يسعنا إلا أن نسلط الضوء عليهما تحت مطلبين:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب : العلم– باب: فضل العلم١/٤٣رقم٨٢، وفي كتاب: فضائل الصحابة– باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه ١٣٤٦/٣رقم ٣٤٧٨ ،وأخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة–باب: من فضائل عمر رضي الله عنه

المطلب الأول

مواجهة عمر – رضي الله عنه – للهزيمة النفسية عام الرمادة[١]

وهو ذاك العام الذي توقف فيه نزول المطر وجفت الآبار ، حتى أهلكت الزرع والضرع ، وسمي لذلك هذا العام بعام الرمادة لما أن الأرض صار لونها كلون الرماد لشدة جدبها، قال الحافظ ابن كثير(وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيها بالرماد وقيل لأنها تسفى الريح ترابا كالرماد ويمكن أن تكون سميت لكل منها). [٢]

قال الحافظ ابن كثير:(كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثماني عشرة أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار). [٣]

وقد ضرب الخليفة عمر بن الخطاب النموَج الأروع في التعامل مع تلك الأزمة الاقتصادية وسلوك عدة سبل لمواجهة ما لحق بالمسلمين من هزيمة نفسية جراء ما ألم بهم

إنه وطبقا لسنن الله تعالى في طبيعة البشر من لجوءهم إلى خيار الأمة وقاداتها عند اشتداد الكروب والأهوال ، فإن الناس زمن عمر رضي الله عنه قد لجئوا

---

(١) (عام الرمادة) أي عام الهلكة، يقال: رمدت الغنم: إذا هلكت ومتت من بردٍ أو صقيع، وأرمد القوم: إذا هلكت مواشيهم، ورمد عيشهم: إذا هلكوا وهو الرمد. وقال أبو عبيد: بل سمي عام الرمادة لأن الزرع والشجر وكل شيء من النبت احترق مما أصابه من السنة. فشبه سوادها بالرماد. قال الهروي: هذا تفسير الفقهاء، والأول كلام العرب، ولكل وجه. تاريخ خليفة ص ١٣٨، لسان العرب ١٨٦/٣ ، تخريج الدلالات السمعية من الحرف والصنائع والعمالات ، للخزاعي ١٦٦/١

(٢) ذخائر العقبى ٢٠٠/١، البداية والنهاية لابن كثير ٩٠/٧

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٩١/٧

إليه.

فكيف كان تصرف خليفة خليفة رسول الله– صلى الله عليه وسلم -إزاء تلك المناشدة من المسلمين

لقد نظر الفاروق عمر بن الخطاب إلى جموع المسلمين بوجه بدا معتصرا من شدة الألم على ما شاهده من حال رعيته .

يروي لنا ذلك المحب الطبري ، بسنده إلى أبي هريرة قال: (خرج عمر عام الرمادة فرأى نحواً من عشرين بيتاً من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، قال: وأخرجوا لنا جلد ميتة مشوياً كانوا يأكلونه ورمة العظام يسحقونها ويسفونها، قال: فرأيت عمر طرح رداءه ثم نزل يطبخ لهم ويطعم حتى شبعوا، ثم أرسل أسم إلى المدينة فجاءه بأبعرة ، فحملها عليها ، ثم كساهم، ثم لم يزل يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك.)[1]

وهنا دعم نفسي ومسلك من مسالك مواجهة الأزمة حيث أظهر لهم روح التضامن ، وبذل الجهد في رفع المعاناة عنهم وإطعامهم.

ثم ثنى هذا المسلك بآخر لا يقل أهمية عن سابقه ألا وهو خطابه لهم بالصبر والاحتساب..،

وبلغ من تضامنه معهم ما يحكيه لنا أصحاب كتب التاريخ.

قال المحب الطبري: (وروي أنه عام الرمادة لم إذا اشتد الجوع بالناس وكان لا يوافقه الشعير والزيت ولا التمر وإنما يوافقه السمن، فحلف لا يأتدم بالسمن حتى يفتح على المسلمين عامه هذا، فصار إذا أكل خبز الشعير والتمر بغير أدم يقرقر بطنه في المجلس فيضع يده عليه ويقول: إن شئت قرقر وإن شئت لا تقرقر، ما لك عندي أدم حتى يفتح الله على المسلمين).

فها أنت ترى أيها القارئ الكريم ما انضاف إلى المسلك المعنوي لمواجهة تلك

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة، وإسناده صحيح ، للمحب الطبري ١٨٢/١

الهزيمة للمسلمين من دعم مادي تمثل في موقف الصحابة)ممن طلب منهم المدد لإغاثة المسلمين من تلك المجاعة الجارفة.

وبينما هم على تلك الحال من الكرب إذ بالبشرى تأتي على يد أحد المسلمين في صورة رؤيا منامية

قال الحافظ ابن كثير: (أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال أنا رسول رسول الله إليك يقول لك رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لقد عهدتك كيسا وما زلت على ذلك فما شأنك قال منى رأيت هذا قال البراحة فخرج فنادى في الناس الصلاة جامعة فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى امرا غيره خير منه فقالو اللهم لا فقال إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية قالوا صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين فبعث اليهم وكان عمر عن ذلك محصورا فقال عمر الله اكبر بلغ البلاء مدته فانكشف ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء)[1]

فكان من جميل صنيعه – رضي الله عنه – وحسن مسلكه في رفع معنويات المسلمين ودفع الهزيمة التي لحقت بنفوسهم ، أن بشرهم بقرب انكشاف تلك الغمة في قوله (ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء) .

ولعل القارئ الكريم لاحظ كيف كان الدعم المادي مسلكا هاما بل أساسيا هنا في إزالة الهزيمة النفسية بل والبدنية التي لحقت بالمسلمين آنذاك.

منها :أنه جعل نفسه قدوة للناس فألزمها ألا يأكل لحما ولا لبنا ولا عسلا حتى يأكل الناس جميعا .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩١/٧

وقد واسى عمرﷺ الناس بنفسه فحرمها من الطعام الذي لا يجده الناس. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "تقرقر بطن عمر وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرم عليه السمن، فنقر بطنه بأصبعه. وقال: تقرقر تقرقرك إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس".(١) .

وأكل رضي الله عنه الشعير فصوت بطنه، فضربه بيده وقال: "والله ما هو إلا ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين".(٢).

ومنها توزيع الغذاء من دار الدقيق على الأعراب قبل أن يأتيه المدد من الأمصار المختلفة وهذا يسمى في عصرنا لحاضر (تطوير مؤسسات الدولة الاقتصادية) ، وكان عمرﷺ قد اتخذ دار الدقيق لحفظ الدقيق والسويق والتمر والزبيب ، وغير ذلك لوقت الحاجة .(٣).

واستمرت هذه المجاعة تسعة أشهر حتى صارت الأرض سوداء فشبهت بالرماد.(٤)

ولم يكن موقفه من المجاعة بأقل منه في الغلاء حينما ابتدأ الكعام ينزل للأسواق فاشترى غلاما له طعام بثمن باهظ ، فأمره أن يتصدق به حتى لا يغلى على الناس

قال المحب الطبري: (أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سنة

---

(١) رواه ابن سعد / الطبقات ٣/٣١٣-٣١٥، وعبد الرّزّاق ، في المصنف ١١/٢٢٣. وهو (صحيح) من طريق ابن سعد. قال: أخبرنا عبد الله بن نمير عن عبيد الله عن ثابت البناني عن أنس بن مالك.

(٢) رواه ابن شبه في تاريخ المدينة ٢/٣٠٩. وسنده متصل، ورجاله ثقات. قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا سلميان بن المغيرة عن ثابت عن أنس ابن مالك.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، لأكرم بن ضياء العمري١/٢٥١

(٤) الطبقات لابن سعد ٣/٣١٠ من رواية الواقدي، البداية والنهاية ٧/٩٠

بالمدينة وما حولها فكانت تسفى إذا ريحت ترابا كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة فآلى عمر ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيى الناس من أول الحيا فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين ثم أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتهما بأربعين فقال عمر أغليت بهما فتصدق بهما فإني أكره أن آكل كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسهم)[1]

ثم قام-رضي الله عنه- بطلب المدد من الأمصار المختلفة استبشارا بالرؤيا التي بشر بها

لقد عمل عمر ﷺ على جلب الطعام من الأرياف لأهل البوادي، وكان يدعو الله عز وجل أن يفرج عن المسلمين كربتهم.

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- وهو يصف عام الرمادة: "وكانت سنة شديدة ملمة... اجتهد عمر فيها بإمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف[2] كلّها، حتى بلحت[3].الأرياف كلّها مما جهدها ذلك، فقام عمر يدعو فقال: "اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال". فاستجاب الله له وللمسلمين. فقال حين نزل به الغيث: الحمد لله، فو الله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم

---

(١) تاريخ الطبري ٥٠٨/٢

(٢) (الأرياف): جمع رِيْف، وهو الخِصْب والسَّعة والرَيفُ: ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها. لسان العرب لابن منظور ٣٩٢/٥.

(٣) بَلَحَت: أي: نفذ ما فيها من زرع وأرزاق يقال: بلحت البئر أي: ذهب ماؤها، والبوالح من الأرضين التي قد عطلت فلا تزرع ولا تعمر. لسان العرب لابن منظور ٤٧٨/٢

من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحداً" [١]

قلت: فانظر كيف كان موقف أمير المؤمنين عام القحط الذي سمي عام الرمادة، ولم يختلف موقفه عام الغلاء، فقد: أصاب الناس سنة غلاء، فغلا السمن، فكان عمر يأكل الزيت، فتقرقر بطنه، فيقول: قرقر ما شئت، فو الله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس...فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثُرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتي به، فإذا قديد من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرناها اليوم. فقال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كرادسها، ارفع هذه الجفنة، هات غير هذا الطعام، فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز [٢]

قلت: وهذا يكشف عن مدى تضامنه مع رعيته ، مما كان له الأثر الكبير في دفع الهزيمة عنهم.

ومن سبل المواجهة لتلك الهزيمة النفسية: أنه أوقف إقامة الحد في هذا العام على السارق وذلك لأن شروط إقامته غير متوفرة ، وحتى لا يجمع على

---

(١) رواه البخاري، في الأدب المفرد، ص: ١٩٨. وسنده متصل ورجاله ثقات. قال: حدّثنا أصبغ، قال: أخبرني ابن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب أن سالماً أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره أن عمر بن الخطاب قال عام الرمادة.... الأثر.

وقد روى الفقرة الأخيرة من الأثر وهي قول عمر: "فوالله لو أن الله... الخ ابن سعد في الطبقات ٣١٦/٣. وسنده متصل ورجاله ثقات.

قال: أخبرنا محمّد بن عبيد، قال: أخبرنا عبيد الله بن عمر ،عن نافع ،عن ابن عمر أن عمر... ولفظه: "أن عمر قال: لو لم أجد للناس من المال ما يسعهم إلا أن أدخل على كلّ أهل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بحيا فعلت، فإنهم لن يهلكوا عن أنصاف بطونهم".

(٢) الكامل في التاريخ1/448، ٤٤٩

الناس عسرين .

يروي لنا كتاب التاريخ ذلك بقولهم :(سرق غلمان حاطب بن أبي بلتعة في عام الرمادة ناقة لرجل مزني فنحروها وأكلوها ورفع الأمر إلى الفاروق، فطلب الغلمان فاعترفوا أنهم سرقوها من حرز والذين سرقوا عقلاء مكلفون ولم يدعوا ضرورة ملجئة للسرقة، فأمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم – ولكنه – وهو يعيش عام الرمادة ويرى حال الناس التمس لهم عذراً فقال لمولاهم: إني أراك تجيعهم؟ واكتفى بذلك وأوقف القطع وأمر للمزني بثمن ناقته مضاعفة [١] (٨٠٠ درهم)، فقد درء الحد عنهم للضرورة) [٢]

كما أنه لم يقطع من سرق من بيت المال ، فقد سأل ابن مسعود عمر عمن سرق من بيت المال فقال: أرسله فما من أحد إلا وله في هذا المال حق، وجلده تعزيراً[٣] .

وحين حل الجوع بالناس، لمدة دامت تسعة أشهر، فإنه وضع جميع إمكانيات الدولة لحل الأزمة وإشباع البطون الجائعة، فقد روى البيهقي في سننه أن عمر أنفق على أهل الرمادة حتى وقع المطر، فترحلوا، فخرج إليهم عمر راكباً فرساً، فنظر إليهم وهم يترحلون بظعائنهم، فدمعت عيناه، فقال رجل من بني محارب بن خصفة: أشهد أنها انحسرت عنك، ولست بابن أمة؟ يمتدح عمر ؟ فقال له عمر: ويلك، ذلك لو أنفقت من مالي أو من مال الخطاب، إنما أنفقت من مال الله [٤] .

---

(١) المنتقى شرح الموطأ للباجي ٦٣/٦.

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص ١٤٨

(٣) المصدر السابق

(٤) سنن البيهقي، (جماع أبواب تفريق ما أخذ من لربعة أخماس الفيء غير الموجف عليه)، باب: الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء إذا اجتمع ٣٥٧/٦ رقم ١٢٨١٢ورواه البيهقي عن شيخه إجازة. وهو (صحيح) .

وقد قال رضي الله عنه: ولكم عليّ ألا أجتبي شيئاً من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله [١]

ومن سبل المواجهة: اللجوء إلى المولى عز وجل بالدعاء والتضرع له بقضاء الحوائج، والاستغاثة بآل البيت الشريف ، وبقرابة رسول اللهﷺ. وطلب الاستسقاء بابن عم رسول اللهﷺ [٢]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣]

قال القرطبي: (الوسيلة: هي القربة عن أبي وائل والحسن ومجاهد وقتادة وعطاء والسدي وابن زيد وعبد الله بن كثير، وهي فعيلة من توسلت إليه أي تقربت، والجمع الوسائل ،.. ويقال: منه سلت أسأل أي طلبت، وهما يتساولان أي يطلب كل واحد من صاحبه، فالأصل الطلب، والوسيلة القربة التي ينبغي أن يطلب بها،) [٤]

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَ افَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ " [٥]

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٣١٠.

(٢) أسد الغابة ١٧٧/١

(٣) سورة المائدة–آية(٣٥)

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٩/٦

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الاسْتِسْقَاء– بَاب: سؤال الْإِمَام الاسْتِسْقَاء إذا قحطوا ٣٤٢/١رقم ٩٦٤، وفي كتاب: فضائل الصحابة–باب: ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ١٣٦٠/٣رقم٣٥٠٧

قال ابن الأثير: (واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس – رضي الله عنهما– عام الرمادة لما اشتد القحط ،فسقاهم الله تعالى به وأخصبت الأرض، فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه، وقال حسان بن ثابت : "

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس

عم النبي وصنو والده الذي ... ورث النبي بذاك دون الناس

أحيا الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأجناب بعد الياس

ولما سقي الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون : هنيئا لك ساقي الحرمين) [١]

قال ابن كثير: (وخرج الناس للاستسقاء، وأخرج عمر معه العباس عم النبي –صلى الله عليه وسلم– ليستسقي للناس، فقام العباس فخطب وأوجز وصلى، ثم جثى على ركبتيه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا. ثم انصرف، فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا بالغدران[٢]

ومنها تأخير جمع الزكاة وعدم إلزام الناس به هذا العام [٣]

قال الحافظ ابن كثير:(ثم تحول الحال الى الخصب والدعة وانشمر الناس عن المدينة الى أماكنهم) [٤]

قلت: وقد عقب عمر ﷺ على هذه الأحداث الشاقة بقوله: " الحمد لله ، فو الله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت

---

(١) أسد الغابة ٥٧٧/١، البدء والتاريخ ١٠٢/١

(٢) البداية والنهاية، أحداث سنة ١٨ هـ..٩٠،٩١/٧

(٣) أزمة عام الرمادة الاقتصادية سنة ١٨ هـ – (٦٣٩ م) من خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه .

(٤) البداية والنهاية ٩٠/٧

معهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحداً "[1]

وهكذا فقد واجه الفاروق عمر – رضي الله عنه – تلك الهزيمة النفسية التي حللت بالناس بكل سبيل أتيح له ، مادي كان أو معنوي ، حتى أتم الله عليهم نعمه وأزاح تلك الغمة.

(١) البخاري: الأدب المفرد ٨٣، و ابن شبة: تاريخ المدينة ٢: ٧٣٨- ٨٣٩ و الأثر صحيح (لاتصال سنده وثقة رجاله) ، وانظر:عصر الخلافة الراشدة ١/ ٢٣٩للدكتور أكرم العمري46

المطلب الثاني

سبل مواجهة الهزيمة النفسية، زمن وباء الطاعون [١]

(ويسمي طاعون عمواس) [٢]

وقد وردت الأخبار عن هذا الوباء في كثير من كتب السنة ممن أسهبوا في ذكر تفاصيل تلك المحنة ومنهم من اختصر واقتصر على أهم معالمها، وسأكتفي هنا بمن ذكر أخبار هذا الطاعون مختصرا، ثم الإشارة بعد ذلك إلى سبل المواجهة- لأن هذا مقصودي من البحث -مدعمة ذلك بذكر مصادره الأصيلة .

وسأكتفي من مصادر ذكر أمر هذا الوباء بما جاء في صحيح مسلم لما أنه أوضح موقف الفاروق عمر من هذه المحنة أو الجائحة العامة وأبرز كيف كان تعامله معها .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَهْلُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِيَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ. فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا

---

(١) قال النووي: (وأما الطاعون فوباء معروف وهو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء ....وكان بالكوفة طاعون وهو الذى مات فيه المغيرة بن شعبة سنة خمسين هذا ما ذكره المدائنى وكان طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وقال أبو زرعة الدمشقى كان سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة. شرح النووي١/١٠٧

(٢) (عمواس): قرية بين الرملة وبيت المقدس نسب الطاعون اليها لكونه بدأ فيها وقيل لأنه عم الناس وتواسوا فيه ذكر القولين للحافظ عبد الغنى فى ترجمة أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وعمواس بفتح العين والميم. المصدر السابق

الْوَبَاءِ. فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّى. ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِىَ الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ. فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّى. ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِى مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ. فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمْهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَنَادَى عُمَرُ فِى النَّاسِ إِنِّى مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ – وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلاَفَهُ – نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطْتَ وَادِيًا لَهُ عِدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِى بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِى مِنْ هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ». قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ [1] .

قلت: وكما هو واضح من الروية أن سيدنا عمر تعامل مع ما حل بالعباد من ابتلاء بحكمة ، حيث اتخذ سبيل المشورة لمن حوله في هذا الأمر مسلكا من مسالك المواجهة ، وكان رجوع عمر رضي الله عنه لرجحان طرف الرجوع لكثرة القائلين به ، وأنه أحوط ولم يكن مجرد لتقليد لمسلمة الفتح لأن بعض المهاجرين الأولين وبعض الأنصار أشاروا بالرجوع ، وبعضهم بالقدوم عليه وانضم إلى المشيرين بالرجوع رأي مشيخة قريش فكثر القائلون به مع ما لهم من السن والخبرة وكثرة التجارب وسداد الرأي وحجة الطائفتين واضحة مبينة في الحديث وهما مستمدان من أصلين في الشرع ، أحدهما:

(١) صحيح مسلم ، كتاب: السلام– باب: باب الطَّاعُونِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَنَحْوِهَا.٧/ ٢٩ رقم ٥٩١٥

التوكل والتسليم للقضاء، والثاني: الاحتياط والحذر ومجانبة أسباب الإلقاء باليد إلى التهلكة .

فها هنا نستطيع أن نلخص سبل المواجه في هذين الأصلين، وهما: التوكل على الله تعالى والتسليم لقضائه ، حيث أن من أركان وأساسيات الإيمان التسليم لقضاء الله أيا كان تصديقا لقوله "عجبا لأمر المؤمن

كما كان من السبل لزوم الاحتياط والحذر أخذا بالأسباب وقطعا لحبائل الشيطان أن يستحوذ على الإنسان فيهزمه بوسوسته ،

أخرج مسلم في صحيحه، بسنده إلى صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (١) .

ومن سبل المواجهة: الدعم النفسي الذي تمثل في إرسال سيدنا عمر كتابا إلى أبي عبيدة ، يدعم فيه من خلاله خلال الإيمان بالقضاء والقدر لدى جموع المسلمين، وكذا يهدئ من روعهم ببث روح الطمأنينة في قلوبهم بما ينتظرهم من موعود الله بأجر الشهيد وبالتالي دخول الجنة التي هي غاية الغايات وأسمى الرجاءات.

قال ابن كثير:(فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: (أن سلام عيك، أما بعد فقد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي) فعرف أبو عبيدة ما أراد فكتب إليه: (يا أمير المؤمنين، قد عرفت حاجتك إلي وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبةً عنهم،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق- باب : الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْر ٢٢٧/٨ رقم ٧٦٩٢

فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه، فحللني من عزيمتك). فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكان قد قال ثم كتب إليه سلام عليك أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضا عميقة فارفعهم الى أرض مرتفعة نزهة، قال أبو موسى فلما أتاه كتابه دعاني ،فقال: يا أبا موسى... فلما مات استخلف على الناس عمر بن العاص، فقام فيهم خطيبا فقال "أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتحصنوا منه في الجبال، فقال أبو وائل الهذلي كذبت والله لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنت شر من حماري هذا فقال والله ما ارد عليك ما تقول وايم الله لا نقيم عليه قال ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ودفعه الله عنهم

قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه) [1]

وفي إجراء عمرو بن العاص الذي اتخذه لمواجهة ومقاومة هذا الواء ، مزيد حكمة ومزيد حرص على حياة الناس، وفي موافقة الفاروق عمر على هذا الرأي وهذا الإجراء أخذ بالأسباب ، وهو سبيل من سبل المواجهة.

فانظر كيف كان تصرف الفاروق عمر في مواجهة هذا الوباء الفتاك ، فقد قبل مشورة من أشار عليه بالرجوع لما بلغه من هدي رسول الله في ذلك،

قال النووي: (ومنهم من جوز القدوم عليه والخروج منه فرارا قال وروى هذا عن عمر بن الخطاب ﷺ وأنه ندم على رجوعه من سرغ).

---

(١) البداية والنهاية ٧٨،٧٩/٧ ، السيرة النبوية لابن حبان2/211 ، الروض الأنف2/284 ، المصباح المضيء لأبي عبد الله محمد بن حيدة الأنصاري1/135 ، تاريخ الإسلام ١٦٧/٣، تاريخ ابن خلدون١١٤/٢ / البداية والنهاية ٢٠٢/٦

قال النووي: (والصحيح ما قدمناه من النهى عن القدوم عليه والفرار منه لظاهر الأحاديث الصحيحة ، قال العلماء: وهو قريب المعنى من قوله ﷺ لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا" وفى هذا الحديث الاحتراز من المكاره وأسبابها، وفيه التسليم لقضاء الله عند حلول الآفات) (١)

قال النووي: (ومنها اجتناب أسباب الهلاك ومنها منع القدوم على الطاعون ومنع الفرار منه والله أعلم) (٢)

لقد كان أمر هذا الوباء هزيمة عميقة الأثر امتد أثرها أن خافت قلوب المسلمين وخشيت من تكالب العدو عليها، وكعوا في البلاد وما تركه الآباء والأجداد بعد انتقالهم إلى رحمة الله ، ثم جاء سبيل المواجهة من الفاروق عمر بعد انكشاف هذا الوباء بأمر الله ليطمئن الناس ممن بقي بعد الطاعون ويهدئ من روعهم ،

يحكي لنا أصحاب كتب السنة والتاريخ هذا السبيل من سبل المواجه من الفاروق عمر لتلك الهزيمة التي أنهكت أرواح المسلمين

قال ابن كثير:(قالوا: لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه وفنى خلق كثير من الناس حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك ، قلت: ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام ففسم مواريث الذين ماتوا لما اشكل أمرها على الأمراء وطابت قلوب الناس بقدومه ، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه الى الشام ولله الحمد والمنة) (٣)

فانظر كيف عبر المؤرخ عن هزيمة المسلمين النفسية عقب هذا الوباء الفتاك وعقب فناء كثير من الناس ،بقوله (وتخوفت قلوب المسلمين لذلك)

---

(١) شرح النووي١٤/٢٠٧

(٢) المصدر السابق ،ص ٢١٢ وانظر: فتح الباري ١٦،١٨١

(٣) البداية والنهاية ٧/٧٩

والحظ تعبيره بقوله (وطابت قلوب الناس بقدومه) وكيف أنه كان مصدر أمان واطمئنان لهم.

ونستطيع بعد هذا العرض لأهم ملامح تلك الجائحة وتلك المحنة العصيبة التي انهزمت لها الأبدان والأرواح أن نلخص سبل مواجهتها التي اتخذها الفاروق عمر بمشورة أصحابه المخلصين فيما يأتي:

أولا: الرضا بقضاء الله والتسليم له .

ثانيا: مشورة الأصحاب واهل الخبرة في ما يقع فيه الانهزام سبيل هام جدا من سبل مواجهة الأزمات.

ثالثا: الأخذ بالأسباب والعمل على تغيير الواقع فيما يسمى بالتفاعل البناء أو الإيجابي.

رابعا: الدعم المعنوي للمصابين بالتضامن معهم وبث روح الإيمان في قلوبهم، وكذا العمل على التواصل معهم ليشعروا بأن الهزيمة ليست خاصة بهم وإنما يشاطرهم فيها من حولهم من الناس .

خامسا : إظهار ما تكنه النفس من ألم للناس ليرفع عن أرواحهم ثقل الهزيمة ويستشعروا بتضامن أميرهم أو كبيرهم معهم .

سادسا: تعجيل البشارة للمكلوم والمنكوب أحد أهم وسائل دفع تلك الهزيمة

وهكذا لعل من الملاحظ أن كل السبل التي استنبطناها من تلك الأزمة تدور حول وسيلتين ، إحداهما معنوية وروحية، والأخرى مادية وملموسة.

الفصل الثاني

سبل مواجهة الهزيمة النفسية في شأن (بعض أفراد الأمة)

قلت: ومن جمال ما أتت به الشريعة الغراء في مواجهة الهزيمة النفسية التي قد تحيط ببعض الفئات المنكوبة، جراء أوضاع اجتماعية فرضتها عليهم البيئة المحيطة بهم، أو ابتلاءات ومصائب حلت بهم، أو ذنوب ومعاصي اقترفها العبد أورثت في نفسه ذلا وهوانا ويئسا من العودة إلى رحاب الخالق.

وفي السطور الآتية أعرض للقارئ الكريم نمازج من بعض ألوان البلايا والمحن التي غالبا ما تسبب هزائم نفسية لأصحابها، قل من يواجهها أو يتصدى لها منهم ، أعرض للقارئ الكريم كيف ساعد الهدي النبوي والشريعة الغراء هؤلاء على تجاوز تلك الهزائم من خلال عدد من السبل والمسالك ، التي منها مادي ومنها ما هو معنوي ، حتى تكون عونا لمن يشاركهم مثل تلك الابتلاءات على تجاوزها.

أسوق ذلك تحت تسعة مطالب أسوقها كما يأتي:

المطلب الأول

سبيل التسرية عن النفس والترويح عنها في مواجهة الهزيمة النفسية

وإن الناظر في حياة نبينا الكريم ﷺ بعمق وتأمل ليجد أيضا أنه ﷺ ضرب لنا النموذج الأروع في تحمل الشدائد وفي مواجهة الأزمات والابتلاءات سواء على مستوى الفرد أو الجماعة .

ويجسد لنا حاله الشريف ﷺ في عام وفاة زوجه الطاهرة سيدة نساء أهل الجنة السيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – وهو ذات العام الذي توفي فيه أيضا عمه أبو طالب ــ يمثل لنا أشد فترات ضيقه النفسي ﷺ وهزيمته الداخلية جراء فقد هؤلاء الأعزاء حتى أنه سمى هذا العام ب(عام الحزن) [1]

فانظر أيه القارئ الكريم إلى أي مدى كان قد بلغ به ﷺ الأسى على فراق هؤلاء حتى يصف عاما بأكمله من عمره ﷺ بل من عمر الدعوة الإسلامية بأسرها بهذا الاسم

ولم لا وقد كانت زوجه الحنون السيدة خديجة أول زوج له وأول من آمنت به من النساء ، بل أول من سانده ووقف بجواره في سبيل استمرار دعوة الحق وإيصال أمانة الرسالة إلى أتباعها.

ولم لا وقد كان عمه أبو طالب المؤازر الوحيد والمناصر الفريد من نوعه في الوقت الذي تخلى عنه ﷺ جميع من حوله من الأهل والقرابة وعلى الرغم من عدم إسلام عمه معه إلا أنه كان ينافح ويدافع عنه وعن دعوته أيما دفاع – فكان له الحصن والأمان أمام صناديد الكفر من سادات قريش.

في هذا العام العصيب تأتي العناية الإلهية من فوق سبع سماوات لتعلم

---

(١) السيرة الحلبية ٤١/٢، نساء حول الرسول، لمحمد برهان٩٢/١، نفحة عبير من سيرة البشير النذير ، للدكتور. يحي إبراهيم اليحي ٢٢/١

البشرية جمعاء كيف تكون المواجهة لمثل هذا النوع من الهزيمة النفسية وكيف يكون العلاج الرباني المتكامل

فتأتي رحلة الإسراء والمعراج وفيها ما فيها من الحفاوة والزهو بسيد ولد آدم، إنه الإكرام الرباني والحفاوة الإلهية التي لا يمكن بحال من الأحوال محاكاتها أو مضاهاتها .

لكن ظلت لنا العبرة والاستنباط والمنهج الذي يمكن التعبير عنه بالتسرية عن النفس والترويح عنها والخروج من دائرة الحزن إلى دائرة الأمل وتعميق الإيمان بأن الفراق غير أبدي فالكل راجع لا محالة لخالقه سبحانه سبيل من سبل مواجهة الهزيمة النفسية.

المطلب الثاني

سبيل الصبر والاحتساب من السبل في مواجهة الهزيمة النفسية

وهو من السبل المجربة في مواجهة بعض الهزائم النفسية التي قد يتعرض لها عدد أو بعضا من جماعة المسلمين، ومما تعرض له بعض أفراد الأمة في بداية بزوغ فجر الإسلام ، وقد يتعرض له عدد من المسلمين في عصرنا الحاضر في بعض بقاع من الأرض والتي لا زال المسلمون فيها في حال استضعاف واضطهاد ، مما سبب ولا يزال يسبب لهم الهزيمة النفسية ، فإننا نستطيع أن نجد لهم مسلكا لمواجهة تلك الهزيمة مجتذبين مهجها من قصص السابقين الأولين من صحابتهﷺ

إنه سبيل يتضمن عدة مسالك، منها: توطين النفس على تحمل المشاق ، ومنها: الاعتبار بالماضي وقصص السابقين وكيف كان تعاملهم مع ما يتعرضون له من هزائم ، ومنها: المداراة في حالة الإكراه.

نظير قوله تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (١)

وقوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (٢).

وحث الرسول للمستضعفين في مكة آنذاك " على توطين النفس على تحمل المشاق، والاعتبار بقصص السابقين .

أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى خَبَّاب ﷺ قَالَ : شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ :«قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ،فَيُجْعَلُ فِيهَا

(١) سورة يوسف – آيه١٢٠

(٢) سورة آل عمران – آية١٤٦

،فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ ،فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ ،فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (١) .

فأسلوب خباب الذي عرض به على النبي ﷺ قضيته دال على خروجه من أرواح أنهكتها الأوجاع وأعياها الألم الذي تتلقاه تباعا من الأعداء من كفار قريش.

وكان رد رسول الله ﷺ عليه تقوية لنفسه وتدعيما لها، بتذكيره بما كان يقع للسابقين من المؤمنين والذين لهم نفس قضيتهم من توحيد الإله ونبذ عادات ودين الآباء، فالعبرة بقصص السابقين سبيل من سبل مواجهة الهزيمة النفسية.

وكذا فيما وقع لعمار بن ياسرﷺ من انهزام نفسي جراء إجبار المشركين له على سب النبيﷺ

ويكفي هنا، ما قاله الرسول ﷺ لعمار بن ياسر عندما أذن له بنطق كلمة الكفر للخلاص من الأذى، طالما أن قلبه مطمئن بالإيمان، ونزل في ذلك قرآن خالدٌ يُتلى على الزمن، لأن هذه الحالة يمكن أن تتكرر على الزمن، وكان مما قاله: (إن عادوا فعد!)

أخرج البيهقي في سننه، بسنده إلى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍﷺ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ :« مَا وَرَاءَكَ؟ »

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإكراه – باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٢٥٤٦/٦رقم ٦٥٤٤، وفي وكتاب: المناقب– باب: علامات النبوة في الإسلام١٣٢٢/٣رقم ٣٤١٦

قَالَ : شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ. قَالَ : « كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ ». قَالَ : مُطْمَئِنًا بِالإِيمَانِ. قَالَ :« إِنْ عَادُوا فَعُدْ »[1].

فاالمداراة في حالة الإكراه، بشرط أن يبقى قلبه مطمئناً بالإيمان، سبيل من سبل مواجهة الهزيمة النفسية.

فطيب النبي الكريم خاطره وهدأ من روعه لما رآه عليه من انهزام نفسي جراء ما أكره عليه .

(١) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب: المرتد ، باب: المكره على الردة قال الله جل ثناؤه من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ٢٠٨/٨رقم ١٦٦٧٣ ، وإسناده (صحيح) ، ومستدرك الحاكم، كتاب التفسير- باب: تفسير سورة النحل٣٨٩/٢رقم ٣٣٦٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

المطلب الثالث

الوقوف في وجه الظلم والثبات على الحق دون خوف أو لجج، سبيل من سبل مواجهة الهزيمة النفسية

ولعل أوضح وأبلغ مثال على هذا ما وقع من سيدنا عبد الله بن عمر ، في موقفه من فعل الحجاج وبطشه بالناس في عصره مما أوقع في نفوس الناس هزيمة نكراء

يروي لنا الإمام مسلم بسنده إلى الأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ عَنْ أَبِى نَوْفَلٍ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ - قَالَ - فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولاً لِلرَّحِمِ أَمَا وَاللَّهِ لأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لأُمَّةٌ خَيْرٌ. ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ فَأُلْقِىَ فِى قُبُورِ الْيَهُودِ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِّى أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مِنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ - قَالَ - فَأَبَتْ وَقَالَتْ وَاللَّهِ لاَ آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَىَّ مَنْ يَسْحَبُنِى بِقُرُونِى - قَالَ - فَقَالَ أَرُونِى سِبْتَىَّ. فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتِنِى صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ قَالَتْ رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ بَلَغَنِى أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِى بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَأَمَّا الآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِى لاَ تَسْتَغْنِى عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا « أَنَّ فِى ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا ». فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ[1] فَلاَ إِخَالُكَ إِلاَّ إِيَّاهُ - قَالَ - فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا [2] .

---

(١) (المُبِير) هو الحجاج الثقفي ،أي: مهلك يسرف في إهلاك الناس. شرح السنة للبغوي ٣٠٨/١٣، شرح النووي ١٠٠/١٦

(٢) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة - باب: ذِكْرِ كَذَّابِ ثَقِيفٍ وَمُبِيرِهَا ٧/ ١٩٠ رقم ٦٦٦٠

قال النووي: (وفيه منقبة لابن عمر لقوله بالحق في الملأ ، وعدم اكتراثه بالحجاج ؛ لأنه يعلم أنه يبلغه مقامه عليه ، وقوله ، وثناؤه عليه ، فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ، يشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير ، وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله : إنه عدو الله ، وظالم ، ونحوه ، فأراد ابن عمر براءة ابن الزبير من ذلك الذي نسبه إليه الحجاج، وأعلم الناس بمحاسنه، وأنه ضد ما قاله الحجاج . ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوما، وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه .) [١]

قلت: وها قد بدا واضحا للقارئ الكريم في ذات الخبر موقف السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين، تجاه الحجاج بن يوسف الثقفي، حينما وقفت في وجهه دون خشية من بطشه أو حذر، وصدعت بالحق وواجهته بما هداها إليه استنباطها من كلام النبوة ، ووصف النبي لرجل يأتي من أمته بأنه مبير، لما رأت أن تلك الأوصاف تنطبق عليه تماما، واجهته بهذا في أشد حال كان عليها قرابتها وذويها ، بل فلذة كبدها عبد الله والذي كان تحت قبضة الحجاج، ولم تخف إن صدعت بالحق أن يبطش به أو يفجعها عليه

قال النووي: (وقولها في الكذاب : (فرأيناه) تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن أقبحه ادعى أن جبريل صلى الله عليه وسلم يأتيه. واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف . والله أعلم) [٢]

---

(١) شرح النووي ٣٢٨/٨

(٢) المصدر السابق .

المطلب الرابع

اختيار الصحبة المعينة على العمل ورفع الهمة، والبعد عن أهل التشاؤم ومهدمين العزائم سبيل من سبل مواجهة الهزيمة النفسية

قال تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ أتعشي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [١] ، وقال جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [٢]

قال ابن كثير: (أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجا) [٣]

وحسبك شاهدا ودليلا على ذلك ما وقع من أمر كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا، وقد مر الحديث عنها مفصلا في المبحث الثاني

وقوله تعالى {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [٤]، يعني أن الزرع يكبر ويشتد عوده بمؤازره المجاور له من صنوف الزراعات، فكذلك الإنسان يكتسب من صفات صاحبه ويقوى ويتماسك بالمجاور له من الصحبة.

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً. [٥]

---

(١) سورة الكهف – آية ٢٨

(٢) سورة التوبة – آية (١١٩)

(٣) تفسير ابن كثير٢/٤٨٥

(٤) سورة الفتح : آية٢٩

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم: (٥٥٣٤) وأخرجه، مسلم في صحيحه، باب: اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السَّوْءِ ٨ / ٣٧رقم ٦٨٦٠.

قال الإمام النووي: (وفيه: فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، والنهي عن مجالسة أهل الشر واهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة) (١)

قال الحافظ المناوي: (والقصد به النهي عن مخالطة من تؤذي مجالسته في دين أو دنيا والترغيب في مجالسة من تنفع فيهما) (٢)

ويقول أ. د. خلدون الأحدب : (وإذا نظرنا إلى أولئك الذين استفادوا من لحظات أعمارهم، وكان من نتاجهم ما يعجب ويدهش، نجدهم لا يصحبون إلا المجدين العاملين والنابهين الأذكياء، الذين يحرصون على أوقاتهم حرصهم على حياتهم لأن الزمن هو الحياة) (٣)

وقصة قاتل المائة خير شاهد على أن هذا السبيل وأنه من أنفع السبل لمواجهة الهزيمة النفسية التي قد تلحق بالعبد جراء ارتكابه للمعاصي أو اقترافه للذنوب، أو مجالسته لأهل الفسق واختلاطه بهم، وهو مسلك لزوم صحبة الصالحين من عباد الله.

أخرج مسلم في صحيحه، بسنده إلى أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ نَبِىَّ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ

(١) شرح النووي على مسلم١٦/١٧٨

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/٧٣٨

(٣) الإنسان بين علو الهمة وهبوطها١/٤٦٥

مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِى صُورَةِ آدَمِىٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِى أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ ». قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ. (١)

قال الإمام النووي: (قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم وتتأكد بذلك توبته) (٢)

والشاهد قول العالم العابد للرجل القاتل (انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ) .

فانظر كيف عبر عن الحال بأنه سوء ومعروف أن المقصود بالأرض إنما الأشخاص الذين يعيشون فيها.

وحسبك أيها القارئ الكريم ما كان من اختيار سيد الخلق أجمعين للصديق الصاحب سيدنا أبو بكر ﷺ أثناء الهجرة الشريفة، ليهون عليه الطريق، ويكون سندا ورفيقا أثناء رحلة الهجرة .

قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب: التوبة- باب: قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُه٨/١٠٣رقم٧١٨٤

(٢) شرح النووي على مسلم١٧/٨٣ .

(لا تصاحب إلا مؤمناً) : وكامل الإيمان أولى لأن الطباع سراقة ، ومن ثم قيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً ، وأخبر – صلى الله عليه وسلم – أن حال المرء يوم القيامة مرتبط بحال قرينه ، فقال: « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » [1] .

على أن المقصود يتجاوز مجرد الصحبة والاقتران، بل يمتد إلى تتبع سير الصالحين والفضلاء ولاقتداء بهم ، وهذا هو مقصود الحديث

قال الإمام النووي: (روايات المرء مع من أحب فيه فضل حب الله ورسوله صلى الله عليه و سلم والصالحين واهل الخير الأحياء والأموات ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم اذ لو عمله لكان منهم ومثلهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال أحب قوما ولما يلحق بهم قال أهل العربية لما نفي للماضي المستمر فيدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط ثم انه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه) [2]

بل حين يُكْرِم أصحابه فذلك من إجلال الله، وحين يحبهم فيحبهم لله، وحين يتبرأ الناس يوم القيامة من أخلائهم فهؤلاء أخلاء على سرر متقابلين

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب: الأدب– باب: علامة الحب في الله عز و جل ٥/٢٢٨٣ح ٥٨١٦ ، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والأدب– باب: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ٨/٤٣رقم ٦٨٨٨، وانظر: فيض القدير ٦/٤٠٤

(٢) شرح النووي ١٦/١٨٦

{الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ [1].

فخلاصة: القول أن الصحبة الصالحة أحد أهم سبل مواجهة الهزيمة النفسية.

(١) سورة الزخرف- آية ٦٧

المطلب الخامس

تطبيق مبدأ المساواة والمعاملة الحسنة، ورعاية الخاطر، سبيل من سبل المواجهة النفسية في الرق والعبودية

أقول: نعلم جميعا أن الإسلام انطلق يقضي على منابع الرق، ويضع المسئولية على كاهل السادة والعبيد، في محاولة رفع الهزيمة النفسية التي تلحق بالعبد أو الأمة جراء هذا الوضع الاجتماعي الذي غالبا ما تفرضه عليه الظروف، ولا دخل له فيه.

واستطاع الإسلام أن يجعل قضية المساواة متصلة بقضية إيمان العبد المسلم. فتغيرت النفسية التي أسلمت، فرفعت العبيد إلى مصافها، فأخذ النبي ﷺ بمشورة سلمان الفارسي في غزوة بدر وغزوة الخندق، كما مر بالقارئ الكريم قبل عدة مباحث.

وأخرج مسلم في صحيحه، بسنده إلى عائذ بن عمرو –رضي الله عنه–أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلاَلٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: « يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ قَالُوا لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَىَّ) (١).

وعناية الإسلام بالأرقاء، ومواجهة هزيمتهم النفسية جراء هذا الوضع الاجتماعي الذي فرضته عليهم الظروف، تتجلى في عدة مظاهر، أو مسالك:

منها: بدأ الإسلام بالمعاملة الحسنة للرقيق، ليعيد للنفس المنحرفة توازنها، وليرد إليها اعتبارها، فتشعر بكرامتها الذاتية وكيانها الإنساني، وحينئذ تشعر

---

(١) صحيح مسلم– كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل سلمان وصهيب وبلال.٧/١٧٣رقم ٦٥٦٨

بطعم الحرية، فتتذوقه ولا تنفر منه.

والخادم [١] ضعيف؛ لأنه تحت إمرة مخدومه، ولذلك جعل الإسلام له حقوقًا:

والمتأمل لتلك الحقوق يجد أنه في حد ذاتها تمثل وسائل دفاعية لمواجهة الهزيمة النفسية التي تعتريهم جراء هذا الوضع الذي يعيشونه ، ويمكن أن تتفرع تلك السبل إلى عدة مسالك

فمن هذه المسالك: أن جعلهم والمخدومين إخوة، لهم كل حقوق الأخوة.

فتجد النبي الكريم ﷺ يجعل دعوتهم إلى الإطعام مما يأكل السيد، وأن يلبسهم مما يلبس، سبيل من سبل رفع معنوياته.

أخرج البخاري بسنده إلى أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلَاجَه "[٢]

وخير مثال لإكرام الخدم والمساواة بينهم وبين إخوانهم المسلمين ما أخرجه البخاري .

بسنده إلى الْأَحْدَبِ ،عَنْ الْمَعْرُورِ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ [٣]، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ [٤]، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا ، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ

---

(١) الخدم لغة: خدم فلانًا خدمة: قام بحاجته، فهو وهي خادم، الجمع خدم وخدام .. وهي خادمة . المعجم الوجيز، ص١٨٧.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه: كتاب العتق- باب: إذا أتاه خادمه بطعامه.٩٠٢/٢ح ٢٤١٨

(٣) مكان قريب من المدينة على ثلاث مراحل منها.

(٤) والحُلة: هي إزار ورداء معًا، وسميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل على الآخر.

خَوَلُكُمْ [١] جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُم) [٢] .

قال الحافظ ابن حجر: (قوله : (فإن كلفتموهم) .

أي ما يغلبهم، وحذف للعلم به، والمراد أن يكلف العبد جنس ما يقدر عليه، فإن كان يستطيعه وحده وإلا فليعنه بغيره . وفي الحديث النهي عن سب الرقيق وتعييرهم بمن ولدهم ، والحث على الإحسان إليهم والرفق بهم ، ويلتحق بالرقيق من في معناهم من أجير وغيره . وفيه عدم الترفع على المسلم والاحتقار له . وفيه المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإطلاق الأخ على الرقيق ، فإن أريد القرابة فهو على سبيل المجاز لنسبة الكل إلى آدم، أو المراد أخوة الإسلام ويكون العبد الكافر بطريق التبع، أو يختص الحكم بالمؤمن.) [٣] .

ومنها : تساوي العبد مع السيد، لأول مرة في تاريخ البشرية :

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا، ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى)[٤]، وقال عمر بن الخطاب ﷺ عندما كان يرشح للخلافة من بعده قال: (لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا لوليته) .

---

(١) المعجم الوجيز، ص٢١٥.

(٢) أخرجه: البخاري ، في صحيحه، كتاب: الإيمان- باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفي صاحبها بارتكابها إلا بالشرك. ٢٠/١ رقم ٣٠، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان والنذور باب إطعام المملوك مما يأكل٩٢/٥رقم ٤٤٠٣

(٣) فتح الباري ٨ / ١٣ .

(٤) أخرجه: البخاري ، في صحيحه: كتاب الآذان، باب: إمامة العبد والمولى.٥٢٤٣/٥ح ٥٦٩١ .

ومنها: حسن معاملتهم، وعدم إيذاءهم بالقول أو بالفعل. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت النبيﷺعشر سنين، فما قال لي (أف)، ولا (لم صنعت)، ولا (ألا صنعت) [١] .

قال الحافظ في الفتح (ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات ؛ لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه، وفائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته، وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان ، وأما الأمور اللازمة شرعا فلا يتسامح فيها لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [٢] .

ومن سبل مواجهة هزيمتهم النفسية: التواضع لهم، والحذر من التعالي عليهم فالأيام دول، والزمان قلب، لإعطائهم الوقت الكافي للصلاة وللصوم وللعبادة، وتطبيق أحكام الشرع عليهم في مسائل الخلوة والحجاب وغض البصر وعدم الخضوع في القول، وتعليمهم قواعد الشرع الأساسية في الطهارة والصلاة والصيام .. وغير ذلك مما يدخل تحت تحمل المسئولية التي حملها السيد بقوله ﷺ: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته) [٣] .

أخرج البخاري بسنده إلى أنس بن مالك –رضي الله عنه– قَالَ إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ"[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري ، في صحيحه – كتاب: الأدب – باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل. ٥/٢٢٤٥رقم ٥٦٩١ ، ومسلم في الفضائل– باب: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أحسن الناس خلقا٧/٧٣ رقم ٦١٥١

(٢) فتح الباري ١٧/١٨٧

(٣) أخرجه : البخاري، في صحيحه: كتاب: الاستقراض وأداء الديون، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه – كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، باب العبد راع في مال. ٣/١٥٠

(٤) أخرجه: البخاري ، في صحيحه: كتاب الأدب، باب الكبر. ٥/٢٢٥٥رقم٥٧٢٤

قال ابن حجر: (والمقصود من الأخذ باليد: لازمه، وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع: لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء، أي: أي أمة كانت – والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة، لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر) (١) .

ومنها: جاءت الوصية بالإحسان إليهم:

قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (٢) .

قال ابن كثير: (وما ملكت أيمانكم: وصية بالأرقاء؛ لأن الرقيق ضعيف الحيلة، أسير في أيدي الناس) (٣) .

ومنها: النهي عن مناداتهم بما يدل على تحقيرهم واستعبادهم:

فحث النبي ﷺ صحابته وبالتبعية من بعدهم ممن ظلت تلك الأوضاع الاجتماعية سائدة عندهم أن ينادى العبد والأمة ، بقولهم فتى وفتاه ، رعاية لحالهم ومواجهة لما يشعرانه من هزيمة عند إطلاق كلمة عبد وأمة .

أخرج البخاري بسنده إلى هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ اسْقِ رَبَّكَ وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي

(١) فتح الباري ٣٧٥/١٦ باختصار.

(٢) سورة النساء/ ٣٦.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٣٨٩/١.

وَغُلَامِي [١] .

وهذا انطلاقا من قوله تعالى ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢]

فتجد أن الحق تبارك وتعالى بقوله(فتياتكم) ولم يقل جواريكم أو خدمكم، وفي هذا ما فيه من رعاية الجانب النفسي لهذا الرقيق، وتربيت على كتفه مما ألم به من الشعور بالهزيمة جراء وضع اجتماعي لم يملك فيه الخيار إلا أن يكون تحت يد أحد من بني جنسه.

ومنها: التحذير من إيذائهم وإيقاع الضرر بهم، والوعيد بالعذاب الأليم عند حصول ذلك .

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ "مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ" [٣] .

قال الحافظ في الفتح: (وإنما خص ذلك بالآخرة تمييزا للأحرار من المملوكين، فأما في الآخرة فإن ملكهم يزول عنهم ويتكافئون في الحدود ، ويقتص لكل منهم إلا أن يعفو ، ولا مفاضلة حينئذ إلا بالتقوى) [٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق وقوله: عبدي أو أمتي. ٩٠١/٢رقم ٢٤١٤ ، وأخرجه: مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة . ٧:٤٦. رقم ٦٠١٢

(٢) سورة النور–آية ٣٣

(٣) صحيح البخاري ، كتاب: الحدود– باب: قذف العبيد. ١٧٥/١، ومسلم في صحيحه، كتاب: الأيمان– باب: التَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا٩٢/٥رقم٤٤٠١

(٤) فتح الباري٢٩٢/١٩

كما راعى الشارع الحكيم الجانب المعنوي للرابطة الفطرية بين الأم ووليدها ذكرا كان أم أنثى- فتوعد من يفرق بينهما في الدنيا بمثل ما اقترفه ولكن هذه المرة أشد أثرا وأبلغ ألما إذ يكون ذلك في الدار الآخرة والتي هي دار القرار ومأوى الصالحين والتي من جملة نعيمها أن يأنس أصحاب الجنة بأحبابهم الذين كانوا معهم في الدنيا.

أخرج الترمذي في سننه ، بسنده إلى أبي أيوب الساعديﷺ أن النبي ﷺ قال: (مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

قال أبو عيسى وفي الباب عن علي وهذا حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهم كرهوا التفريق بين السبي بين الوالدة وولدها وبين الولد والوالد وبين الأخوة [١] .

قال المباركفوري – في شرحه لتلك الجملة النبوية-: قوله : (بين والدة وولدها) أي ببيع أو هبة أو خديعة بقطيعة ، وأمثالها وفي معنى الوالدة الوالد بل وكل ذي رحم محرم .

قال الطيبي: – رحمه الله أراد به التفريق بين الجارية وولدها بالبيع والهبة وغيرهما) [٢] .

كما ذكر النبي الكريم صحابيه أَبا مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّﷺ بقدرة الله تعالى عليه، وأنها أكبر من قدرته بكثير، وذلك حينما رآه يضرب غلاما له ،

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب: السير- باب: في كراهية التفريق بين السبي ١٣٤/٤رقم ١٥٦٦، وأخرجه: أحمد ، في مسنده من حديث أبي أيوب الساعدي ٤١٢/٥ رقم ٢٣٥٤٦، والطبراني في الكبير١٨٢/٤رقم٤٠٨٠، والشهاب القضاعي في مسنده ٢٨٠/١رقم ٤٥٦ ، والحديث (حسن) بمجموع طرقه وشواهده .

(٢) تحفة الأحوزي ٤/ ٤٢٠

وبوعيد في الآخرة إن لم يكن قد حاول دفع هذا الإثم بقربة تناسبه ، وتتسق مع ما لحق بهذا العبد من أذى حسي وهزيمة نفسية جراء ضربه له.

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِىِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِىُّ كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِى بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِى « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ». فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ – قَالَ – فَلَمَّا دَنَا مِنِّى إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– فَإِذَا هُوَ يَقُولُ « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ». قَالَ فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِى فَقَالَ « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلاَمِ ». قَالَ فَقُلْتُ لاَ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا (١) .

وفي الرواية التالية " فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ. فَقَالَ « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ » (٢) .

قال صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : (وقوله لأبي مسعود : (لو لم تفعل للفحتك النار) ؛ تنبيه على أن الذي فعله من ضرب عبده حرام ، فكأنه تعدَّى في أصل الضرب ؛ بأن ضربه على ما لا يستحق ، أو في صفة الضرب ، فزاد على المستحق) (٣)

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى خَيْثَمَةَ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو إِذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوتَهُمْ قَالَ لاَ. قَالَ فَانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ. قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب: الإيمان– باب: صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. ١٢٨٠/٣رقم٣٤

(٢) المصدر السابق ١٢٨٠/٣رقم٣٥

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٩/١٤، وانظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤٣٨/١

يَمْلِكُ قُوتَهُ » [١] .

قال النووي: (القهرمان: هو الخازن القائم بحوائج الإنسان، وهو بمعنى الوكيل، وهو بلسان الفرس) [٢] .

قال أبو العباس القرطبي: (وإنما هذا على جهة الحض على مكارم الأخلاق، وإرشادٌ إلى الإحسان، وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يرى لنفسه مزية على عبده؛ إذ الكل عبيد الله، والمال مال الله، ولكن سَخَّر بعضهم لبعض، وملَّك بعضهم بعضًا ؛ إتمامًا للنعمة ، وتقعيدًا للحكمة) [٣].

وأخرج ابن حبان في صحيحه، بسنده إلى الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقَالَ : يا رسول الله عَلِّمْنِي عَمَلا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ : "لَئِنْ كُنْتَ أَقَصَرْتَ الْخُطْبَةَ فقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ: "أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ" ، قَالَ: أَوَ لَيْسَتَا بوَاحِدة؟ قَالَ: لاَ ، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفُكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِطِي فِي ثَمَنِهَا ، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ القاطع، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ ، وَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ)[٤].

قال الحافظ في الفتح: (وإذا ثبت الفضل في الإعانة على العتق ثبت

---

(١) أخرجه مسلم ، في صحيحه: كتاب: الزكاة– باب: فضل النفقة على الكيال والمملوك وإثم من ضيعهم. ٢/٦٩٢رقم ٩٩٦

(٢) شرح النووي ٧/٨٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم١٤/١١.

(٤) صحيح ابن حبان ، كتاب: البر والإحسان– باب: ما جاء في الطاعات وثوابها ٢/٩٧ رقم ٣٧٤ وإسناده (صحيح)، وأخرجه: البخاري في الأدب المفرد، باب فضل من يصل ذا الرحم الظالم١/٣٨رقم٦٩، وأحمد في مسنده ٣٠/٦٠٠رقم١٨٦٤٧ وإسناده صحيح، والدارقطني في سننه، كتاب: الزكاة – باب: الحث على إخراج الصدقة وبيان قسمتها٢/١٣٥

الفضل في التفرد بالعتق من باب الأولى) [١] .

وحثًا من الشرع الشريف للمؤمنين ممن يجعلون الجنة مطلبهم وغايتهم ، فإنه ﷺ يرغبهم في عتق الرقاب المؤمنة

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ » [٢] .

قال النووي: (وفي هذا الحديث بيان فضل العتق وأنه من أفضل الأعمال، ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة ، وفيه: استحباب عتق كامل الأعضاء فلا يكون خصيا ولا فاقد غيره من الأعضاء ، وفي الخصى وغيره أيضا الفضل العظيم لكن الكامل أولى وأفضله أعلاه ثمنا وأنفسه) [٣]

ومنها: الصبر على أخطائهم، والعفو عنها.

أخرج أبوداود في سننه، بسنده إلى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ فَصَمَتَ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلاَمَ فَصَمَتَ فَلَمَّا كَانَ فِى الثَّالِثَةِ قَالَ « اعْفُوا عَنْهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً » [٤] .

ومن لطيف صنيعه – صلى الله عليه وسلم – وجميل رعايته لبعض الفئات ممن تنبذهم بعض المجتمعات لأسباب خارجة عن إرادتهم ، ولأشياء

---

(١) فتح الباري ٤٧٢/٧

(٢) صحيح البخاري ، كتاب: العتق – باب: فَضْلِ الْعِتْق ٢١٧/٤رقم٣٨٦٩

(٣) شرح النووي ١٥١/١٠

(٤) سنن أبو داود ، كتاب: الأدب – باب: فِى حَقِّ الْمَمْلُوكِ ٥٠٦/٤رقم ٥١٦٦ ،قلت : وإسناده(صحيح)، وأخرجه: الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، باب: ما جاء في العفو عن الخادم. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. ٤٠٠/٣

قدرت لهم من غير كسب منهم أو اجتهاد في تحصيلها .

قوله: – صلى الله عليه وسلم– لزهير – وكان رجلا دميم الخلقة –" إنت لست بكاسد" وفي رواية أنت عند الله غال (أنت عند الله غال) .

أخرج أحمد في مسنده بسنده إلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَجُلا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرَ بْنَ حَرَامٍ ، وَكَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا ، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ ، قَالَ : وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ ، وَكَانَ دَمِيمًا ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا ، وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُوَ لا يُبْصِرُهُ ، فَقَالَ : أَرْسِلْنِي ، مَنْ هَذَا ؟ فَالْتَفَتَ ، فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَجَعَلَ لا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ، يَقُولُ : مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ ، أَوْ قَالَ : لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ "[1]

وفي شأن من خجل من عدم قبول بيوتات المسلمين له خاطبا ، وما هذا إلا لدمامة في خلقته لا مدخل له فيها،(غير أنك عند الله لست بكاسد) دعما لنفسيته التي انهزمت جراء رفض بيوتات المسلمين من التزويج له.

أخرج أبو يعلى في مسنده ، بسنده إلى أنس قال : كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له جليبيب في وجهه دمامه فعرض عليه رسول الله –ﷺ التزويج ، فقال : إذا تجدني كاسدا ،فقال : (غير أنك عند الله لست بكاسد) [2]

---

(١) مسند أحمد ١٦١/٣رقم١٢٦٦٩واللفظ له ، وإسناده صحيح ، وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب: أهل الكتابين – باب هدية الأعراب ٤٥٥/١٠رقم١٩٦٨٨ ، والبزار في مسنده ٣٢٢/٢رقم٦٩٢٢، و ابن حبان ، في صحيحه، كتاب: الحظر والإباحة – باب: المزاح والضحك١٠٦/١٣

(٢) مسند أبو يعلى: ٨٩/٦رقم٣٣٤٣ وإسناده صحيح ، لاتصاله وثقة رجاله.

وقوله ﷺ لقاطع الطريق –بعد أن لقبه الناس مهان– بل أنت مكرم رفعا لمعنوياته وتقوية لنفسة المنهزمة جراء ما اقترفه من أذى للناس جعلهم يمتهنونه ويحتقرونه ، ويطلقون عليه هذا اللقب، الممتهن للكرامة.

أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى نَضْلَةَ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ: " أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: " مَا اسْمُكَ ؟ " قَالَ: مِهْرَانُ ، قَالَ: " بَلْ أَنْتَ مُكْرَمٌ " رَوَاهُ غَيْرُهُ، فَقَالَ: مُهَانٌ، فَقَالَ: " بَلْ أَنْتَ مُكْرَمٌ "، وَهُوَ الصَّوَابُ [1] .

(١) حلية الأولياء ٥/٢٦٣١ح٦٣٢١ ، وذكره الحافظ بن حجر في الإصابة ٦/ ٢٠٧ رقم ٨٢٠٠ وعزاه لابن مندة ،(وإسناده صحيح) ، وكذا صاحب حُصُول المَأْمُول بِذِكْرِ مَنْ غَيَّرَ أَسْمَائَهُم الرَسُول – صلى الله عليه وسلم – ١/٨١ت١٠٤ (مكرم الغفاري) وعزاه لابن منده في ترجمة مكرم الغفاري، وانظر ترجمته: الاستيعاب ت١٧٤٤، أسد الغابة (٥٤٨٦\٥٣٨\٣)، والإصابة ٤/٣٣٨ت٥٣٤٢.

المطلب السادس

التوبة إلى الله والرجوع إليه سبيل في مواجهة الهزيمة النفسية

وذلك فيمن اقترف ذنبا أو ألم بمعصية ، فنجد التوبة إلى الله والرجوع إليه ، فإن العبد إذا أذنب ثم أعقب ذنبه بندم وتوبة بعد تأنيبها وجلدها ، فإن الله تعالى بشره بقبوله وغفران ذنبه، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (١)

وقد مر قريبا الحديث عن قصة قاتل المائة وأنه أراد التوبة الصادقة، وأخذ يبحث عن مخرج لما ألم به من هزيمة بسؤاله أهل العلم .

فمثلا: في كفارة من جامع في نهار رمضان عامدًا.

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « وَمَا أَهْلَكَكَ ». قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِى فِى رَمَضَانَ. قَالَ « هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ». قَالَ لاَ. قَالَ « فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ». قَالَ لاَ. قَالَ « فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ». قَالَ لاَ – قَالَ – ثُمَّ جَلَسَ فَأُتِىَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم– بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ. فَقَالَ « تَصَدَّقْ بِهَذَا ». قَالَ أَفْقَرَ مِنَّا فَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ « اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ » (٢) .

وفي هذا ما فيه من رعاية نفسية هذا الرجل المنهزمة بإيجاد مخرج له من هذا الذنب الذي جعله يحمل على نفسه بقوله (هلكت) .

---

(١) سورة طه–آية ٨٢

(٢) صحيح البخاري ، كتاب: الصوم– باب: المجامع في رمضان هل يطعم أهله من الكفارة إذا كانوا محاويج ٦٨٤/٢رقم١٨٣٥، وأخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب: الصيام – باب: تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الْجِمَاعِ فِى نَهَارِ رَمَضَانَ عَلَى الصَّائِمِ وَوُجُوبِ الْكَفَّارَةِ الْكُبْرَى فِيهِ١٣٨/٣رقم٢٦٥١

قال الحافظ ابن حجر: (قد تبين حاله بقوله (هلكت) و(احترقت) فدل على أنه كان عامدا عارفا بالتحريم ، .. ، واستدل بهذا على أن من ارتكب معصية لا حد فيها وجاء مستفتيا أنه لا يعزر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقبه مع اعترافه بالمعصية، وقد ترجم لذلك البخاري في الحدود وأشار إلى هذه القصة، وتوجهه أن مجيئه مستفتيا يقتضي الندم والتوبة ، والتعزير إنما جعل للاستصلاح ولا استصلاح من الصلاح، وأيضا فلو عوقب المستفتي لكان سببا لترك الاستفتاء وهي مفسدة فاقتضى ذلك أن لا يعاقب، هكذا قرره الشيخ تقي الدين، لكن وقع في " شرح السنة للبغوى " أن من جامع متعمدا في رمضان فسد صومه وعليه القضاء والكفارة ويعزر على سوء صنيعه، وهو محمول على من لم يقع منه ما وقع من صاحب هذه القصة من الندم والتوبة ، وبناه بعض المالكية على الخلاف في تعزير شاهد الزور) [1]

(١) فتح الباري٦/١٨٨

المطلب السابع

الحرص على الاستزادة من الطاعات وهجر المعاصي ما استطاع

فالإيمان بأن البشر غير معصوم وأنه يخطئ ويصيب: سبيل من سبل مواجهة الهزيمة النفسي، ولكن مع الإيمان بوجود رب يغفر الذنوب ويستر العيوب، وهو وحده القادر على قبول توبة العبد المذنب ينبغي أن ينهض الفرد المسلم ويستعيد ثقته بربه وبنفسه ولا يستسلم لذل المعصية

فلا يستسلم العبد المسلم لتلبيس إبليس عليه بأن ذنبه عظيم وأنه لن يغفر له، وخاصة إذا كان من أهل العلم بحرمة ذلك الفعل أو الريبة منه

وأنموذج سيدنا (عمار بن ياسر ﷺ وإتيانه للنبي... وحديث كيف تجد قلبك مطمئن بالإيمان...، وقد مر الكلام عنه في بداية الفصل ، خير مثال لذلك.

المطلب الثامن

التفاعل الإيجابي مع شؤون الحياة، والانخراط في العمل المفيد والنافع سبيل من سبل المواجهة للهزيمة النفسية

ويظهر هذا السبيل جليا في مواجهة انكسار نفس المرأة من طلاق أو تأيم ،

فنجد الهدي النبوي من أقواله – صلى الله عليه وسلم – وهدي كبار الصحابة من بعده يؤكد هذا المعنى ويدعمه .

فقد خاطب النبي الكريم المعتدة من طلاق ، بجواز أن تخرج لقضاء حوائجها الأصيلة ، ما لم تجد من ينوب عنها في ذلك .

أخرج مسلم في صحيحه، بسنده إلى جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ" :طُلِّقَتْ خَالَتِى فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ فَأَتَتِ النَّبِىَّ) فَقَالَ "بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا. (١) " .

فالشاهد : هو خطاب النبي الكريم لخالة جابر) بإباحة الخروج لها حتى وإن كانت في عدتها ، لقضاء مصلحة لها لا ينوب عنها فيها غيرها، بل إنه قام بتحفيزها على هذا العمل بأنه قد يحقق لها زيادة في حسناتها عند ربها إذا قامت بالتصدق منه، أو مكسبا دنيويا من صناعة معروف أو خير يعود عليها ، ويبدو أن تلك الصحابية كانت قد وعت حكم تلك المسألة قبل ان تذهب لرسول الله) حيث كانت قد خرجت قبل سؤاله) .

فالتفاعل الإيجابي مع الكون المحيط بمن هذه حالتها هو خير علاج لتلك الهزيمة التي تعرضت لها، وتزداد تأكيدا إذا لم يكن لها عائل بعد هذا الزوج الذي فارقها ، من والد أو أخ أو ولد.

فالنبي ﷺ وضع لها العلاج في سبيل التفاعل الإيجابي والعمل الصالح

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب :الطلاق – باب: جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها فى النهار لحاجتها4/200 رقم3794

ولانغماس فيه ، وهما من أنجع السبل وأكثرها نتائج إيجابية في مثل تلك الحالة.

ومن هدي الفاروق عمر ﷺ ما هو في شريف علم القارئ الكريم ، من محاولته إزالة الانكسار الذي أصاب ابنته حفصة، بعد تأيمها [1] من زوجها.

أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ،وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، فتوفي بالمدينة ، فقال عمر ابن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال سأنظر في أمري فلبثت ليالي ثم لقيني فقال قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا . قال عمر فلقيت أبا بكر الصديق فقلت إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا وكنت أوجد عليه مني على عثمان فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا ؟ قال عمر قلت نعم قال أبو بكر فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول اللهﷺ قبلتها".[2]"

---

(١) (الأيم) التي لا زوج لها يقال امرأة أيم- بكرا كانت أم ثيّبا، مطلّقة كانت أو مُتَوَفًّى عنها.- ورجل أيم إذا لم يكن لهما زوجان قال الشاعر:(فواللهِ ما أحببتُ حُبَّكِ فاعلمي فتاة .. ً ولا أحببتُ حُبَّكِ أَيِّما). الزاهر ١٥٠/١، وقال صاحب القاموس: (وقد آمتْ تَئيمُ أيْماً وأُيوماً وأيْمةً وإيمَةً . وأأمْتُها : تَزَوَّجْتُها أيِّماً . ورجلٌ أيْمانُ عيْمَانُ : فَأَيْمانُ إلى النِّساءِ وعَيْمانُ إلى اللَّبَنِ . وامْرَأَةٌ أيْمَى عَيْمَى . والحَرْبُ مَأْيَمَةٌ للنِساءِ . وتأَيَّمَ : مَكَثَ زماناً لم يَتَزَوَّج) .القاموس المحيط ١٣٩٣/١

(٢) (صحيح البخاري ، كتاب: النكاح- باب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير ١٩٦٨/٥رقم ٤٨٣٠

والأصل في التأيم هو طول مكث المرأة وحدها بلا زوج سواء سبق لها الزواج أو لم يسبق ، وقد تعوذ النبي ﷺ من بوار الأيم

أخرج سعيد بن منصور في سننه ، بسنده إلى أبي بكر بن عبد الله ابن أبي مريم ، قال : حدثني حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب : "أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من كساد الأيامى ويدعوا لهن بالنفاق". (١)

فها هنا نجد أن الفاروق عمر ، لما نظر حال ابنته حفصة ، وما هي عليه من الانكسار وطول العزبة ، كأنه أشفق عليها ورق لحالها، وهو من هو فقها وعلما وتوفيقا لمعرفة مقاصد الشرع الشريف ، نجده تصرف بناء على ما شاهده من واقع تبدوا فيه الهزيمة على تلك الابنة التي ألم بها هذا الخطب من قضاءات الله وقدره ، نراه قد عرض ابنته على بعض صحابة رسول اللهﷺ ، رعاية لخاطرها وبحثا عن النفع لها ، حيث تؤدي وحدتها دون زوج إلى انكسار نفسها وهزيمتها، ففي محاولة الفاروق عمر لتزويجها ، مواجهة للهزيمة التي لحقت بها نتيجة تأيمها- رضي الله عنها وعن أبيها-.

وبالطبع هذا سبيل من سبل موجهة الهزيمة النفسية، ووصفه أنه تفاعل إيجابي مع شؤون الحياة هو أليق وصف لهذا التصرف.

قال الحافظ ابن حجر: (وفيه: عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه) (٢).

---

(١) سنن سعيد بن منصور- كتاب: الوصايا- باب: ما جاء في التعوذ من بوار الأيم وغير ذلك١/١٨٧رقم ٦٩١ وإسناده (صحيح) لاتصاله وثقة رجاله، وأخرجه: الطبراني في المعجم الكبير١١/٣٢٣رقم١١٨٨٢، وابن أبي شيبة، في مصنفه، كتاب: الدعاء ٦/٢٠رقم٢٩١٥١ (مرسلا).

(٢) فتح الباري١٤/٣٧٤

المطلب التاسع

الحرص على دفع الشعور بالنقص باستعمال الأجهزة التعويضية

إن خير معين على مقاومة هزيمة النفس وانكسارها، وخاصة إذا كان صاحب تلك النفس قد تعرض لحادث أو مرض نشأ عنه فقد بعض أعضاء جسده ، مما أشعره بالعجز والنقص مقارنة بمن حوله من الأسوياء في الخلقة، هو محاولة هذا الشخص أن يوجد أو يبحث عن بديل لهذا العضو المفقود ، ومن الملاحظ أنه مسلك مادي.

والإسلام لم يحرم هذا أو ينه عنه، بل أجازه وأقره بالأمثلة الحية ، ومن خلال من سكرته كتب السير استطعنا الوقوف على عدد ممن ألمت بهم مثل تلك الحوادث جراء خوضهم الحروب المختلفة، أو دفاعهم عن أنفسهم في غير موضع .

ولعل قصة عرفجة التي كثيرا ما يستشهد بها الفقهاء على جواز اتخاذ أنف من ذهب – علما بأن معدن الذهب محرم الحلي به للرجال – ، لعل استشهادهم هذا بحسب الظاهر

وأما عند التدقيق في علة هذا الحكم فإنه لا يسع المتأمل إلا أن يسلم بأن هذا الاستثناء أو تلك الإباحة لا ينفك الغرض منها عن كونه غرض معنوي بحت ، يتمثل في رفع روحه المعنوية وتقوية لهزيمته النفسية التي لحقت به عقب فقده لهذا العضو الهام من أعضاء جسمه .

أخرج الترمذي بسنده إلى عَرْفَجَةَ [1] بن أسعد – رضي الله عنه – : قال: «أُصيب أنفي يومَ الكُلابِ في الجاهلية ، فاتَّخَذْتُ أَنفاً من وَرِقٍ ، فَأَنتَنَ

(١) (عَرْفجة) بفتح المهملة والفاء بينهما راء ساكنة ثم جيم بن سعد التميمي وثقه العجي من الرابعة (عن عرفجة بن أسعد) التميمي صاحبي نزل البصرة. تحفة الأحوذي ٣٧٩/٥

عَلَيَّ، فأمرني رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم– أن أَتَّخِذَ أَنفاً من ذهب»[1].

وانظر إلى تعبيره ﷺ بقوله (فأمرني) رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم– أن أَتَّخِذَ أَنفاً من ذهب .

يشعر بأن النبي الكريم كان حريصا أيما حرص على متابعة ما يلم بصحابته وما من شأنه أن يهزم تلك المعنويات ويضعفها، فأراد لصحابيه أن يكون في أجمل صورة وأطيب ريح ، وحتى لا يتأذى منه أحد فيوقعه ذلك في حرج أو انكسار، فأمره بأن يتخذ أنفا تصنع له من معدن نفيس، هو في الأصل محرم على الرجال التزين به، لكن لما كان الأمر متعلق بصحة البدن والنفس وأنه لا بديل عنه لهذا الغرض، أمره رسول الله ورحمته للعالمين أن يفعل ذلك ولا غضاضة.

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: (فاتخذ أنفا من ذهب)، قال الخطابي: فيه: استباحة استعمال اليسير من الذهب للرجال عند الضرورة كربط الإسنان وما جرى مجراه مما لا يجري غيره فيه مجراه) [2] .

---

(١) أخرجه: أبو داود في سننه ، كتاب: الخاتم ، باب: ما جاء في ربط الأسنان بالذهب ، [ص:٧٣٢] رقم (٤٢٣٢) و (٤٢٣٣) و (٤٢٣٤)، قلت: وإسناده عند أبي داود (صحيح)، لاتصاله وثقة رجاله، وأخرجه: ابن حبان في صحيحه ، كتاب الزينة والتطيب٢٧٦/١٢رقم ٥٤٦٢، وأخرجه: الترمذي في سننه ،كتاب: اللباس ، باب: ما جاء في شد الأسنان بالذهب ، رقم (١٧٧٠) ، وهو حديث (حسن) ، حسنه الترمذي وغيره ، وقال الترمذي : وقد روي عن غير واحد من أهل العلم أنهم شدوا أسنانهم بالذهب ، وفي هذا الحديث حجة لهم . وقال الحافظ الزيلعي في " نصب الراية " : وفي الباب أحاديث مرفوعة وموقوفة وأخرجه: والنسائي في الزينة ، باب: من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب ٨ / ١٦٣ و ١٦٤،

(٢) عون المعبود ١٩٨/١١، وانظر: تحفة الأحوذي ٣٧٩/٥

الخاتمة

الحمد لله الذي أنار لعباده المؤمنين السبيل، وأوضح لهم الحجة والدليل، وشد لهم العَزْم وهداهم لوسائله ومسالكه ، وأفضل الصلوات وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، وهداية للخلْق أجمعين ، فكان منهجه عدلًا ووسطًا وقوامًا ، ورضي الله عن الخلفاء الراشدين المهديين وعن بقية الصحب الغر الميامين وأتباعهم ومن سلك سبيلهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد وفقني الله تعالى لإتمام هذا البحث المتواضع، والله أسأل أن يتقبله بقبول حسن وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم .

وقد توصلت من خلال معايشته إلى الوصول لعدة نتائج وتوصيات .

النتائج :

أولا : أن مفهوم الهزيمة النفسية : هو مصطلح مركب يقصد به انكسار إرادة النفس أمام حدث معين، أو واقع معين، أو فكر معين، أو ظاهرة معينة، بحيث لا تقوى على مجابهته .

ثانيا : أن مقصودي من عنوان بحثي هذا المفهوم اللغوي لمعنى الهزيمة ، الذي يدور حول الضعف والانكسار أمام حدث معين، أو واقع معين، دون المعنى الاصطلاحي الذي تناولته دوائر العلوم الأخرى، من علوم النفس والاجتماع أو الدراسات الإنسانية بصفة عامة.

ثالثا : أن تقعيدي لمفهوم الهزيمة النفسية هنا تأصيل وتقعيد يتسق ويتوافق مع مبادئ الشرع الشريف في القول بعصمة النبيﷺ ، وسلامة الصحابة – رضوان الله عليهم– من أمراض النفس أو متلازماتها – حاشاهم –

رابعا : أن إبراز جوانب القوة – وهي هنا الإيمان الراسخ – والتركيز عليها وتوظيفها في العمل والتقدم ،هو أساس هذا البناء الشامخ المسمى (الإنسان) .

خامسًا : أن مواجهة الهزيمة النفسية منهج رباني مستمد من القرآن والسنة.

سادسًا : لا يخلو سبيل من سبل المواجهة من أحد مسلكين، الأول منهما: مادي، وتحتاج فيه المواجهة إلى إعداد العدة واستجماع القوى، والثاني: معنوي أو روحي، وفيه تحتاج النفس إلى شحذ عزيمتها، واستنهاض همتها لمواجهة ما ألم بها والتغلب عليه .

سابعا : إن حاجة الأمة – بل والفرد المسلم – اليوم إلى رفع الهمة وشحذ الروح المعنوية لتشتد يوما بعد يوم، وخاصة في تلك الآونة التي اشتد فيها البلاء حسا ومعنى .

ثامنًا : هناك قصور ملحوظ في الدراسات السابقة للموضوع والتي تناولته من جوانبه النفسية –من منظور علم النفس– أو التربوية –من منظور علم الاجتماع –.

تاسعًا : أن أسباب الهزيمة النفسية كثيرة جدا لا يمكن حصرها في بحث واحد، وأن ما ذكرته هنا من بعض أسباب إنما هي من قبيل النماذج التي قد تتسع زيادة وكثرة بحسب الأشخاص أو المجتمعات التي تقع بها أو تحل بها الهزيمة النفسية.

عاشرًا : أن من أعظم الهزائم النفسية وأشدها أثرا على نفوس المسلمين ، أمر وفاة النبي– صلى الله عليه وسلم– ولحوقه بالرفيق الأعلى، وأن ما دون ذلك من مصائب فهو هين ، وقد أكد هذا المعنى النبي الكريم حيث قال ﷺ"«إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي، فإنها أعظم المصائب» .

حادي عشر : تتلخص سبل مواجهة الهزيمة النفسية في السنة النبوية، فيما يلي :

١ – شحذ العزيمة ورفع الروح المعنوية .

٢ – تصحيح التصورات الخاطئة لدى صاحب الهزيمة أحد سبل مواجهتها.

٣ – تنمية روح الاعتزاز بالانتماء للدين دون غيره ، دون أن يتصادم هذا مع الانتماء للوطن والأخوة الإنسانية.

٤ – الإصرار على النصر وإعداد العدة والعتاد له ، والصبر على ذلك والاجتهاد في تحقيقه.

٥ – الدعاء والاستنصار من المولى عز وجل والإلحاح في طلب النصرة والعون منه سبحانه

٦ – عامل الوقت والسرعة في استيعاب ما ينبغي فعله ،وعدم الاستغراق في تذكر الهزيمة والإمعان في تفاصيلها واستجماع الهمة والقوة للمواجهة .

٧ – اليقظة والحيطة لما يدور حول الإنسان، وعدم الغفلة عن متابعة الأحداث، أحد سبل مواجهة الهزيمة.

٨ – مشورة الأصحاب واهل الخبرة في ما يقع فيه الانهزام.

٩ – تحقيق التوكل مع الأخذ بالأسباب إجراء لسنة الله تعالى في خلقه ، والعمل على تغيير الواقع فيما يسمى بالتفاعل البناء أو الإيجابي، مع شؤون الحياة ، والانخراط في العمل المفيد والنافع.

١٠ – الثبات والحزم والقوة والجرأة في مجابهة المواقف الصعبة.

١١ – إظهار ما تكنه النفس من ألم للناس ليرفع عن أرواحهم ثقل الهزيمة ويستشعروا بتضامن من حولهم معهم، ممن يوثق بهم ويتوقع منهم الخير.

١٢ – الثبات على الحق والالتزام به دون تذبذب أو تردد مهما كثر عدد المشككين فيه .

١٣ – الثقة بالله بأنه سوف يكشف تلك الغمة ، ويظهر الحق مهما طال الوقت.

١٤ – تعجيل البشارة لصاحب الهزيمة، إن كان سببها مرتبط بانتظار ما هو

مكروه .

١٥ – الثبات أمام ما كتب الله وقدر ، وإقناع النفس بالإيمان به وإلزامها إياه.

١٦ – الحرص على زيادة مستوى الإيمان ، وتعميقه للإيمان بما كتب الله وقدر.

١٧ – القوة في وضوح التعامل مع الحدث دون موارية أو تربيت أو هروب.

١٨ – الاعتزاز بالانتماء للدين دون غيره، والثبات عليه وعلى الإيمان بوحدانية الله تعالى دون تعليق الإيمان على حياة بشر أو كائن من الكائنات.

١٩ – إظهار روح التضامن مع صاحب الهزيمة، أحد أهم وسائل مواجهتها

٢٠ – اللجوء إلى المولى عز وجل والتضرع له بقضاء الحوائج والاستغاثة بآل البيت الشريف ، وبقرابة رسول الله ﷺ.

٢١ – التوكل على الله تعالى والتسليم لقضائه.

٢٢ – التسرية عن النفس والترويح عنها.

٢٣ – الصبر والاحتساب.

٢٤ – توطين النفس على تحمل المشاق، بالاعتبار بالماضي وقصص السابقين.

٢٥ – الوقوف في وجه الظلم والثبات على الحق دون خوف أو لجج.

٢٦ – اختيار الصحبة المعينة على العمل ورفع الهمة، والبعد عن أهل التشاؤم ومهدمين العزائم، ومن كلام الأكابر: (لا تصحب إلا من ينهضك حاله أو يدلك على الخير مقاله).

٢٧ – تطبيق مبدأ المساواة والمعاملة الحسنة، ورعاية الخاطر، لصاحب الهزيمة .

٢٨ – التوبة إلى الله والرجوع إليه ، لمن كان سبب هزيمته الوقوع في ذل

المعصية.

٢٩ – الحرص على الاستزادة من الطاعات وهجر المعاصي ما استطاع صاحب الهزيمة.

وأما عن التوصيات فقد خرجت على النحو التالي :

أولاً : أهيب بالباحثين والباحثات من الزملاء والزميلات أن يجتهدوا في تتبع سبل أخرى لمواجهة الهزيمة النفسية، سواء في القرآن أو في السنة النبوية، أو عبر تاريخ الدولة الإسلامية ، حيث أن ما ذكرته من السبل لا يمكنني الادعاء بأنه حصر لجميعها.

ثانيًا: أهيب بهم أن يهتموا بهذا النوع من الدراسات، والذي يعنى بتدعيم وتثمين معنى(مواجهة الأزمات والهزائم وخاصة الروحية منها والنفسية)، حيث الحاجة ماسة وخاصة في الآونة الأخيرة إلى التركيز على رفع الهمم ، وشحذ الأرواح لمتابعة العمل والاجتهاد في تحصيل العلم والصبر عليه، ولا يتأتى هذا إلا من أرواح ونفوس مشحوذة بالإيمان العميق بأهمية ذلك العمل.

ثالثًا: أهيب بأصحاب المناهج المختلفة على مستوى دوائر العلوم المتعددة التركيز على هذا الجانب، كل في تخصصه، باستخراج مواطن الفخر والاعتزاز وتدعيم الانتماء إلى هذا الدين العالمي، لما هو ملاحظ من شموله واستيعابه لكل احتياجات المنتسبين إليه.

رابعًا : أهيب بالأقسام العلمية (الشرعية والعربية) أن تتضافر جهودهم لصياغة مصطلح منضبط لمفهوم (الهزيمة النفسية) على أن يكون جامعا مانعا، ينضبط معه فكر الباحثين والباحثات عن الشرود إلى ما حاول أصحاب علوم النفس والاجتماع التقعيد له في دراساتهم، والذي مؤداه الطعن في أشخاص عدد من الصالحين، وهذا ما لا نرتضيه ولا نسلم به.

خامسًا : أن ينبري أحد الباحثين أو الباحثات، لتأليف رسالة علمية متكاملة الأركان يجمع فيها أسباب الهزيمة النفسية ثم طرق علاجها، من منظور الشرع الشريف ، لا منظور دوائر علوم الطب أو النفس أو الاجتماع.

سادسًا: أن يتم جمع ما تعرضت له الأمة الإسلامية من هزائم مادية، ومعنوية على حد سواء عبر تاريخها الطويل ، وكيف تم التعامل مع تلك الخسائر واستعادة الثقة بالنفس للمواصلة، في مؤلف مستقل.

سابعًا: أهيب بالقائمين على المؤتمرات العالمية والندوات التثقيفية، والعلمية، التركيز على مضمون مواجهة الهزيمة النفسية وتوجيه ذلك للشباب والشابات، والذين لوحظ مؤخرا أن قاعدة عريضة منهم يركنون إلى الهزيمة والاستسلام، مما أدى إلى تراجع إنتاجهم العلمي أو المادي ، لكي ينهضوا بأنفسهم وتشحذ هممهم لمتابعة وتطوير، بل الإبداع فيما هو منوط بهم، كل في مجاله.

وأخيرا فإنني أحمد الله عز وجل أن أمدني بقوة العزيمة، وقذف في روحي من الهمة، ما يعينني به على إتمام هذا البحث المتواضع، راجية المولى – عز وجل – أن يؤتيني من لدنه رحمة وأن يهيئ لي من أمري رشدا، وأن يكون عونا لي في كل ما أشرع فيه من عمل الخير، كما أسأله سبحانه أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يثقل به ميزان حسنات والديَّ ويغفر لهما ويرحمهما كما ربياني صغيرا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١ - أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره عصر الخلفاء الراشدين ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، للدكتور: علي محمد الصَّلاَّبي

٢ - الأدب المفرد، المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي

٣ - أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى : ٤٦٨هـ) ،المحقق : عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر : دار الإصلاح – الدمام ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٤ - الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، دار النشر : مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر ، الطبعة : الثالثة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.

٥ - الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ، تحقيق : علي محمد البجاوي

٦ - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ، دار النشر: عالم الكتب – بيروت – ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . محمد كمال الدين عز الدين علي.

٧ - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ، دار النشر: عالم الكتب – بيروت – ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى.

٨ – السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، ت (٢١٣) هـ ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، الناشر: دار الجيل-سنة النشر ١٤١١هـ- بيروت.

٩ – البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، الناشر : مكتبة المعارف – بيروت.

١٠ – تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

١١ – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. دار النشر: دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت.، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.الطبعة: الأولى ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

١٢ – تاريخ الأمم والرسل والملوك ، لمحمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ

١٣ – تاريخ الخلفاء، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر : مطبعة السعادة – مصر، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

١٤ – تاريخ الطبري، لمحمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمداني أبو الفضل، ت (٥٢١) هـ ، تحقيق ألبرت يوسف كنعان ، الناشر ، سنة النشر ١٩٥٨، بيروت.

١٥ – التحرير والتنوير من التفسير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)

١٦ – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد

الرحيم المباركفوري أبو العلا، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت

١٧ – تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق، لعلي بن بلبان المقدسي أبو القاسم، ط: دار ابن كثير، مكتبة: دار التراث – دمشق ، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ، تحقيق : محيي الدين مستو.

١٨ – تخريج الدلالات السمعية من الحرف والصنائع والعمالات، للخزاعي، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة : الأولى، تاريخ النشر : ١٩٨٥ ،ط : دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

١٩ – تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ)، المحقق : محمود حسن ، الناشر: دار الفكر، الطبعة : الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٠ – تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ –٧٧٤ هـ]، المحقق : سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٢١ – تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، الطبعة : الأولى

٢٢ – التيسير بشرح الجامع الصغير، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ط/ دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، الطبعة: الثالثة.

٢٣ – الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.

٢٤ – الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٥ – الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ت (٦٧١) هـ ، تحقيق: هشام سمير البخاري، طبعة : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٦ – الجانب العاطفي في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل خلافته، للدكتور إبراهيم عبد الفتاح المتناوي ،قام بصفه ونشره: أبو عمر الدوسري.

٢٧ – حُصُول المَأْمُول بِذِكْرِ مَنْ غَيَّرَ أَسْمَائَهُم الرَّسُول – صلى الله عليه وسلم – ، لأبي يعلى البيضاوي .

٢٨ – حقبة من التاريخ، لعثمان بن محمد الخميس، مصر– الإسماعيلية ، دار النشر : مكتبة الإمام البخاري ، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢٧ ه.

٢٩ – حقبة من التاريخ، لعثمان بن محمد الخميس، مصر–الإسماعيلية، دار النشر : مكتبة الإمام البخاري ، الطبعة : الطبعة الثالثة ١٤٢٧ هـ

٣٠ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ .

٣١ – دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه، لعبد السلام بن محسن آل عيسى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة : الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

٣٢ – الدرر في اختصار المغازي والسير ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ) ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، الناشر : وزارة الأوقاف المصرية – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، الطبعة : الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٣٣ – دلائل النبوة ـ للبيهقي (ت٤٥٨ هـ) ، تحقيق وتعليق: الدكتور: عبد المعطي قلعجي ، ط: دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ–١٩٨٨م.

٣٤ – دلائل النبوة، لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الناشر : دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

٣٥ – زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية. ط: مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت ، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ،وعبد القادر الأرناؤوط

٣٦ – الزاهر في معانى كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ هـ –١٩٩٢، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن

٣٧ – سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي.

٣٨ – سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣٩ – سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر

البيهقي، الناشر : مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ –١٩٩٤ م ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا

٤٠ – سنن الدارمي، لعبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي.

٤١ – سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) ، لمحمد بن إسحاق بن يسار(ت ١٥١) هـ، تحقيق محمد حميد الله، الناشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

٤٢ – السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ،لعلي بن برهان الدين الحلبي، (ت١٠٤٤) هـ ، الناشر دار المعرفة، سنة النشر ١٤٠٠، بيروت.

٤٣ – السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، للأستاذ الدكتور/ علي محمد محمد الصلابي

٤٤ – السيرة النبوية لابن هشام ،لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، ت(٢١٣) هـ ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، الناشر دار الجيل– سنة النشر ١٤١١ه، بيروت

٤٥ – شرح السنة – للإمام البغوى ،للحسين بن مسعود البغوي ، دار النشر: المكتب الإسلامي – دمشق – بيروت ـ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش.

٤٦ – الشمائل الشريفة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط/ دار طائر العلم للنشر والتوزيع ، تحقيق : حسن بن عبيد باحبيشي .

٤٧ – الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية.، لإسماعيل بن حماد الجوهري

(ت٣٩٣هـ)، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة – يناير ١٩٩٠.

٤٨ – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

٤٩ – صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٠ – الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، المحقق : إحسان عباس – الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : ١ – ١٩٦٨ م

٥١ – عصر الخلافة الراشدة – محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، لأكرم بن ضياء العمري ، الناشر : مكتبة العبيكان .

٥٢ – العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي، لمحمد بن عبد الله بن محمد المعافري المالكي، ط/ دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ، تحقيق : د. محمد جميل غازي.

٥٣ – عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ

٥٤ – فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) هـ، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد القادر شيبة الحمد، طبع على نفقة: الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ١٤٢١هـ

٥٥ – الفجر الساطع على الصحيح الجامع، لمحمد الفضيل الشبيهي الإدريسي الزرهوني، شرح صحيح البخاري من باب المبعث إلى نهاية كتاب اللباس – دكتوراة – المغرب – تحقيق: ذ. فؤاد ريشة.

٥٦ – فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي. طبعة : المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦هـ.

٥٧ – كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار النشر / دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، تحقيق : علي حسين البواب

٥٨ – الكشف والبيان ،لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م الطبعة : الأولى

٥٩ – محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (المتوفى : ٩٠٩هـ)، المحقق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ،الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م

٦٠ – المستدرك على الصحيحين، ل محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.

٦١ – المسند، لأحمد بن حنبل، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

٦٢ – مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م،

تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .
٦٣ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، دار النشر : المكتبة العتيقة ودار التراث .
٦٤ - المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لأبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري ، دار النشر / عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٥هـ. تحقيق : محمد عظيم الدين .
٦٥ - مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
٦٦ - المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
٦٧ - المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ،الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
٦٨ - المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر - محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية .
٦٩ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة ، هـ ١٤٠٣ ، تحقيق : مصطفى السقا .

٧٠ – معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ)، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، الناشر : دار الوطن للنشر – الرياض ، الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٧١ – مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأحمد إبراهيم الشريف، الناشر : دار الفكر العربي.

٧٢ – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ.

٧٣ – الوفاة لأحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن، ت (٣٠٣) هـ ، تحقيق: محمد السعيد زغلول، الناشر مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

1. AbuBakr Alsidiyq Radi Allah eanh Shakhsiatah waeasruh easr alkhulafa' alraashidin , 1422AH – 2001AD , li Alduktur: Ali Muhamad Alssalaaby
2. Al'adab Almufardi, almualaf : Muhamad bin Ismaeil Abu Abd Allah Albukhariu Aljaeafi, alnaashir : dar albashayir al'iislamiat - Bayrut, altabeat althaalithat , 1409AH – 1989AD , tahqiq : Muhamad Fuad Abd Albaqi
3. Asbab Nuzul Alqurani, li Abi Alhasan Ali bin Ahmad bin Muhamad bin Ali Alwahidi, Alnaysaburi, Alshaafieii (almutawafaa : 468AH) ,almuhaqiq : Esam bin Abd Almuhsin Alhumaydan, alnaashir : dar al'iislah - aldamaam , altabeat : althaaniat , 1412 AH - 1992 AD
4. Alashtiqaqu, li Abi Bakr Muhamad bin Alhasan bin Dirayda, dar alnashr : maktabat alkhanji - alqahirat / misr , altabeat : althaalithati, tahqiq : Abd Alsalam Muhamad Harun.
5. Al'iisabat fi Tamyiz Alsahabati,li Ahmad bin Ali bin Hajar Abu Alfadl Aleasqalani Alshaafieii , alnaashir : dar Aljil - Bayrut , altabeat al'uwlaa , 1412AH, tahqiq : Ali Muhamad Albijawi
6. Aliaiktifa' Bima Tadamanuh min Maghazi Rasul Allah walthalathat alkhulafa' , li Abi Alrabie Sulayman bin Musaa Alkalaeii al'andalusii , dar alnashri: ealam alkutub - Bayrut – 1417AH, altabeatu: al'uwlaa, tahqiqu: Dr . Muhamad Kamal Aldiyn Eiz Aldiyn Alay.
7. Alaiktifa' bima Tadamanuh min Maghazi Rasul Allah walthalathat alkhulafa'u, li Abi Alrabie Sulayman bin Musaa alkalaeii al'andalusii , dar alnashri: ealam alkutub - Bayrut – 1417AH, altabeata: al'uwlaa.
8. Alsiyrat Alnabawiat li Ibn Hisham , Abd Almalik bin

Hisham bin Ayuwb Alhimyri almueafiri Abu Muhamad,t(213)AH, tahqiqu: tah Abd Alra'uf Saed , alnaashir: dar aljil-sanat alnashri1411AH- Bayrut.

9. Albidayat wa Alnihayatu, li Ismaeil bin Omar bin Kathir alqurashii Abu alfida' , alnaashir : maktabat almaearif - Bayrut.
10. Taj Alearus min Jawahir Alqamusa, li Mohmmd bin Mohmmd bin Abd Alrzzaq Alhusayni , Abu Alfayd , Almlqqb bimurtadaa , Alzzabydy , tahqiq majmueat min almuhaqiqina, alnaashir: dar alhidaya
11. Tarikh Al'iislam wa wafayaat almashahir wal'aealami, talifu: Shams Aldiyn Muhamad bin Ahmad bin Othman Aldhahbi. dar alnashra: dar alkutaab alearabii, Lubnan/ Bayrut., 1407AH – 1987AD.altabeati: al'uwlaa , tahqiqu: Dr. Omar Abd Alsalam Tadamuri.
12. Tarikh Al'umam wa Alrusul wa Almuluk , li Muhamad bin Jarir altabariu Abu Jaefara, dar alkutub aleilmiat - Bayrut , altabeat al'uwlaa , 1407AH
13. Tarikh Alkhulafa'i, li Abd Alrahman bin Abi Bakr Alsuyuti, alnaashir : matbaeat alsaeadat - masir, altabeat al'uwlaa , 1371AH – 1952AD , tahqiq : Muhamad Muhi Aldiyn Abd Alhamayd
14. Tarikh Altabri, li Muhamad bin Abd Almalik bin Ibrahim Alhamdanii Abu Alfadla, ti(521)AH , tahqiq Albirt Yusif Kanean , alnaashir , sanat alnashr 1958, Bayrut.
15. Altahrir wa Altanwir min Altafsiri, li Muhamad altaahir bin Muhamad bin Muhamad altaahir bin eashur altuwnisii (almutawafaa : 1393AH)
16. Tahifat Al'ahwadhi bi Sharh Jamie Altirmidhi, li

Muhamad Abd Alrahman bin Abd Alrahim Almubarikifuri Abu Aleala, alnaashir : dar alkutub aleilmiat - Bayrut

17. Tuhifat Alsidiyq fi Fadayil Abi Bakr Alsidiyq, li Ali bin Balban Almaqdisii Abu Alqasimi, ta: dar abn Kathir , maktabatu: dar alturath - dimashq , almadinat almunawarati, altabeat al'uwlaa , 1408AH , tahqiq : Muhyi Aldiyn Mastu.
18. Takhrij Aldilalat Alsameiat min Alharaf wa Alsanayie wa Aleumaalati, li Alkhizaei , tahqiq : Ihsan Abaas , altabeat : al'uwlaa, tarikh alnashr : 1985 ,t : dar algharb al'iislami, Bayrut - Lubnan.
19. Tafsir Alquran Aleazimi, li Abi Alfida' Ismaeil bin Omar bin Kathir Alqurashii Aldimashqii (almutawafaa : 774AH), almuhaqiq : Mahmud Hasan , alnaashir: dar alfikri, altabeat : altabeat aljadidat 1414AH/1994AD.
20. Tafsir Alquran Aleazimi, li Abi alfida' Ismaeil bin Omar bn Kathir alqurashii aldimashqii [700 -774 ha], almuhaqiq : sami bin Muhamad salamata, alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawzie, altabeat : althaaniat 1420AH - 1999 AD.
21. Tafsir Muqatil bin Sulayman, li Abi Alhasan Muqatil bin Sulayman bin bashir al'azdii bialwala' albalkhi, dar alnashr : dar alkutub aleilmiat - Lubnan/ Bayrut - 1424 AH - 2003 AD, altabeat : al'uwlaa
22. Altaysir bi sharh Aljamie Alsaghiri, li Al'iimam Alhafiz Zayn Aldiyn Abd Alrawuwf Almanawi, ta/ dar alnashr / maktabat al'iimam alshaafieii - alriyad – 1408AH – 1988AD , altabeatu: althaalithati.
23. Aljamie Alsahih Almukhtasar, li Muhamad bin Ismaeil Abu Abd Allah Albukhariu Aljaeafi, alnaashir

: dar Ibn Kathir , alyamamat - Bayrut , altabeat althaalithat , 1407AH – 1987AD, tahqiq : Dr. Mustafaa Dib Albagha 'ustadh alhadith waeulumih fi kuliyat alsharieat - jamieat dimashqa.

24. Aljamie Alsahih Sunan Altirmidhi, li Muhamad bin Eisaa Abu Eisaa Altirmidhiu Alsilmi, alnaashir : dar 'iihya' alturath alearabii - Bayrut, tahqiq : Ahmad Muhamad Shakir Wakhrun.
25. Aljamie li Ahkam Alquran (tafsir alqurtubi) li Abi Abd Allah Muhamad bin Ahmad bin Abi Bakr bin farah al'ansarii alkhazrajii shams Aldiyn alqurtubii t (671)AH , tahqiqu: Hisham Samir Albukharii,tabeat : dar ealam alkutub, Alrayad, almamlakat alearabiat alsueudiati,1423 AH/ 2003 AD.
26. Aljanib Aleatifiu fi Shakhsiat Omar bin Alkhataab Radi Allah eanh qabl khilafatihi, li Alduktur Ibrahim Abd Alfataah Almutanawi ,qam bisafih wanashrihi: Abu Omar alduwsari.
27. Husul Alamamul bidhikr man ghayar 'asmayahum alrasul - salaa Allah ealayh wasalam - ,la'abi yaelaa albaydawi
28. Hiqbat min Altaarikhi, laeuthman bin Muhamad Alkhamaysi, masiri- alIsmaeiliat , dar alnashr : maktabat al'iimam albukharii , altabeatu: altabeat althaalithat 1427 AH.
29. Hiqbat min Altaarikhi, laeuthman bin Muhamad Alkhamaysi, masr-aliIsmaeiliata, dar alnashr : maktabat al'iimam albukharii , altabeat : altabeat althaalithat 1427 AH
30. Haliat Al'awlia' wa Tabaqat Al'asfia'i, almualif : Abu Naeim Ahmad bin Abd Allah Al'asbhani, alnaashir : dar alkitaab alearabii - Bayrut, altabeat alraabieat , 1405AH.

31. Dirasat Naqdiat fi Almarwiaat alwaridat fi Shakhsiat Omar bin Alkhataab wasiasatuh al'iidariat radi Allah eanhu, li Abd Alsalam bin Muhsin al eisaa, alnaashir : eimadat albahth aleilmii bialjamieat al'iislamiati, almadinat almunawarati, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeat : al'uwlaa1423AH/2002AD
32. Aldarar fi Akhtisar Almaghazi wa Alsayr , li Abi Omar Yusif bin Abd Allah bin Muhamad bin Abd Albir bin easim alnamrii alqurtibii (almutawafaa : 463AH) , tahqiq : alduktur shawqi dayf , alnaashir : wizarat al'awqaf almisriat - almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiat - lajnat 'iihya' alturath al'iislamii - alqahirat , altabeat : al'uwlaa 1415 AH - 1995 AD.
33. Dalayil Alnubuat li Albayhaqi (t458 AH) , tahqiq wataeliqi: Aldukturu: Abd Almueti Qaleaji , ta: dar alkutub aleilmiat wadar alrayaan lilturath ,altabeat al'uwlaa , 1408 AH-1988AD.
34. Dalayil Alnubuwwti, li Ismaeil bin Muhamad bin Alfadl Altaymii al'asbahani, alnaashir : dar tiibat - Alriyad , altabeat al'uwlaa , 1409AH.
35. Zad Almuead fi Hady Khayr Aleabad li Muhamad bin Abi Bakr Ayuwb Alzareii Abu Abd Allah Ibn Qiam Aljawziati. ta: muasasat alrisalat - maktabat almanar al'iislamiat - Bayrut - alkuayt , altabeat alraabieat eashrat 1407AH – 1986AD. tahqiqa: shueayb al'arnawuwt ,wa Abd Alqadir Al'arnawuwt
36. Alzaahir faa Mueanaa Kalimat Alnaasi, li Abi Bakr Muhamad bin Alqasim al'anbari, ta/ muasasat alrisalat - Bayrut - 1412 AH -1992, altabeat : al'uwlaa, tahqiq : Dr. Hatim Salih Aldaamin

37. Subul Alhudaa wa Alrashadi, fi Sirat Khayr Aleabadi, wadhakar fadayilih wa'aelam nubuatih wa'afealih wa'ahwalih fi almabda walmaeadi, li Muhamad bin Yusif alsaalihii alshaami.
38. Sinan Abi Dawud, li Sulayman bin Al'asheath Abu Dawud Alsajistaniu al'azdi, alnaashir : dar alfikr , tahqiq : Muhamad Muhyi Aldiyn Abd Alhamidi.
39. Sunan Albayhaqiu alkubraa, li Ahmad bin Alhusayn bin Ali bin Musaa Abu Bakr Albayhaqi, alnaashir : maktabat dar albaz - makat almukaramat , hi1414 - mu1994, tahqiq : Muhamad Abd Alqadir Ata
40. Sunan Aldaarmi, li Abd Allah bin Abdalrahman Abu Muhamad Aldaarmi, alnaashir : dar alkitaab alearabii - Bayrut ,altabeat al'uwlaa , 1407AH, tahqiq : Fawaz Ahmad Zamarli , Khalid Alsabe Alealmi.
41. Sirat Ibn Ishaq (almubtada walmabeath walmaghazi) , li Muhamad bin Ihaq bin Yasar(t 151)AH, tahqiq Muhamad Hamayd Allah, alnaashir: maehad aldirasat wal'abhath liltaerifi.
42. Alsiyrat Alhalabiat fi Sirat Al'amin Almamun ,li Ali bin Burhan Aldiyn alhalabi , (t1044)AH,, alnaashir dar almaerifati, sanat alnashr 1400, Bayrut.
43. Alsiyrat Alnabawiat eard waqayie wa tahlil 'ahdath , li Al'ustadh Aldukturu/ Ali Muhamad Muhamad Alsalabi
44. Alsiyrat Alnabawiat li Ibn Hisham ,li Abd Almalik bin Hisham bin Ayuwb Alhimyri almueafiri Abu Muhamad, t(213)AH, tahqiq tah Abd alra'uf saedu, alnaashir dar aljili- sanat alnashr 1411AH, Bayrut

45. Sharh Alsunat li Al'iimam Albughwaa ,li Alhusayn bin maseud albaghawii , dar alnashr : almaktab al'iislamiu - Dimashq Bayrut 1403AH – 1983AD, altabeat : althaaniat ,tahqiq : Shueayb Al'arnawuwt - Muhamad Zuhayr Alshaawish.
46. Alshamayil Alsharifat , li Al'iimam Jalal Aldiyn Abd Alrahman bin Abi Bakr Alsuyuti, ta/ dar tayir aleilam lilnashr waltawzie , tahqiq : Hasan bin Obayd bahibishiun
47. Alsahahi; Taj Allughat wa sihah alearabiati., li Ismaeil bin Hamaad aljawharii (t393AH), alnaashir: dar aleilm lilmalayini- Bayrut, altabeata: alraabieati-yanayir 1990.
48. Sahih Ibn Hibaan bitartib Ibn bilban, li Muhamad bin Hibaan bin Ahmad Abu Hatim Altamimi Albasti ,alnaashir : muasasat alrisalat - Bayrut, altabeat althaaniat , 1414AH – 1993AD, tahqiq : Shueayb Al'arnawuwt.
49. Sahih Muslimin, li Muslim bin Alhajaaj Abu Alhusayn alqushayri alnaysaburi, alnaashir : dar Ihya' Alturath alearabii - Bayrut, tahqiq : Muhamad Fuad Abd Albaqi.
50. Altabaqat Alkubraa, li Muhamad bin Saed bin Manie Abu Abd Allah albasarii Alzahri, almuhaqaq : Ihsan Abaas - alnaashir : dar sadir - Bayrut , altabeat : 1 - 1968 AD
51. Asr alkhilafat alraashidat - muhawilat linaqd alriwayat altaarikhiat wafq manhaj almuhdithina, li'akram bin dia' alOmarii , alnaashir : maktabat aleabikan
52. Aleawasim min Alqawasim fi tahqiq mawqif alsahabat baed wafat alnabii , li Muhamad bin Abd Allah bin Muhamad almueafiri almalki, ta/ dar aljil -

Bayrut , altabeat althaaniat , 1407AH , tahqiq : du. Muhamad Jamil Ghazi.

53. Eun Almaebud Sharh Sunan Abi Dawud, li Muhamad Shams Alhaqi Aleazim Abadi Abu altayib, alnaashir : dar alkutub aleilmiat - Bayrut - altabeat althaaniat , 1415AH

54. Fath Albari Sharh Sahih Albukhari, li Abi Alfadl Ahmad bin Ali bin Hajar Aleasqalanii (t 852)AH, taqdim watahqiq wataeliqi: Abd alqadir shibt alhamdu, tabe ealaa nafaqati: alamir sultan bin Abd aleaziz al sueud 1421AH

55. Alfajr Alsaatie Alaa Alsahih aljamiei, li Muhamad Alfadil Alshabihii al'iidrisii alzarhuni, sharh sahih albukharii min bab almabeath 'iilaa nihayat kitab allibas - dukturat - almaghrib - tahqiqu: dh. Fuad risha.

56. Fid Alqadir Sharh Aljamie Alsaghir li Abd Alrawuwf Almanawi.tabeat : almaktabat altijariat alkubraa - misr altabeat al'uwlaa , 1356AH.

57. Kashf Almushkil min Hadith Alsahihayni, li Abi Alfaraj Abd Alrahman Ibn Aljuzi, dar alnashr / dar alwatan - Alriyad – 1418AH – 1997AD , tahqiq : Ali Husayn Albawaab

58. Alkashf wa Albayan ,li Abi Ishaq Ahmad bin Muhamad bin Ibrahim Althaelabii Alniysaburi, ta: dar 'iihya' alturath alearabii - Bayrut - Lubnan - 1422 AH - 2002 AD altabeat : al'uwlaa

59. Mahd Alsawab fi Fadayil Amir Almuminin Omar bin Alkhatabi, li Yusif bin Hasan bin Abd Alhadi almubrad (almutawafaa : 909AH), almuhaqiq : Abd Aleaziz bin Muhamad bin Abd Almuhsin, alnaashir : eimadat albahth aleilmii bialjamieat al'iislamiati, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat

alsueudiat ,altabeat : al'uwlaa, 1420AH/2000 AD
60. Alimustadrak Alaa Alsahihayni, li Muhamad bin Abd Allah Abu AbdAllah Alhakim Alnaysaburi, alnaashir : dar alkutub aleilmiat - Bayrut ,altabeat al'uwlaa , 1411 - 1990, tahqiq : Mustafaa Abd Alqadir eata.
61. Almusanad , li Ahmad bin Hanbul, almuhaqiq : Shueayb Al'arnawuwt wakhrun, alnaashir : muasasat alrisalat , altabeat : althaaniat 1420AH , 1999AD.
62. Msnid Alshahab, li Muhamad bin Salamat bin Jaefar Abu Abd Allah Alqadaei, ta/muasasat alrisalat - Bayrut , altabeat althaaniat , 1407AH-1986AD, tahqiq : hamdi bin Abd almajid alsalafi
63. Mashariq Al'anwar Alaa Sihah Aluathar, li Alqadi Abu Alfadl Eiad bin Musaa bin Eayaad Alyahsabi alsabtii almalikii , dar alnashr : almaktabat aleatiqat wadar altarathi.
64. Almisbah Almudi' fi kitab Alnabii Al'umiyi warusulih 'iilaa muluk al'ard min earabiin waeajami, li Abi Abd Allah Muhamad bin Ali bin Ahmad bin hudaydat al'ansarii , dar alnashr / ealim alkutub - Bayrut - 1405hi. tahqiq : Muhamad eazim Aldiyn
65. Musanaf Abd Alrazaaqi, li Abi Bakr Abd Alrazaaq bin Humam alsaneani, alnaashir : almaktab al'iislamiu - Bayrut, altabeat althaaniat , 1403AH , tahqiq : Habib Alrahman Al'aezami.
66. Almusanaf fi Al'ahadith wa Alathar, li Abi Bakr Abd Allah bin Muhamad bin Abi Shibat Alkufi, alnaashir: maktabat alrushd - Alrayad, altabeatu: al'uwlaa , 1409, tahqiqu: Kamal Yusif Alhut.
66. Almusanaf fi Al'ahadith Walathar, li Abi Bakr Abd Allah bin Muhamad bin 'abi shibat alkufi,

alnaashir: maktabat alrushd - Alrayad, altabeatu: al'uwlaa , 1409, tahqiqu: kamal yusif alhut.

67. Almuejam Alkabiri, li Sulayman bin Ahmad bin Ayuwb Abu Alqasim Altabaranii ,alnaashir: maktabat aleulum walhukm - almusl, altabeat althaaniat , 1404AH- 1983AD, tahqiq : hamdi bin Abdalmajid alsalafi.

68. Almuejam Alwasit , li Ibrahim Mustafaa – Ahmad Alzayaat Aamid Abd Alqadir Muhamad alnajaar , dar alnashr : dar aldaewati, tahqiqu: majmae allughat alearabia

69. Maejam ma Austuejim min Asma' Albilad wa Almawadiei, li Abd Allah bin Abd Aleaziz Albakri Al'andalusi Abu eubaydi, ealim alkutub - Bayrut, altabeat althaalithat , ha1403 ,tahqiq : Mustafaa Alsaqaa.

70. Maerifat Alsahabati, li Abi Naeim Ahmad bin Abd Allah bin Ahmad bin Ishaq bin Musaa bin Mihran Al'asbhanii (almutawafaa : 430AH), tahqiq : Adil bin Yusif Aleazaazii , alnaashir : dar alwatan lilnashr - alriyad , altabeat : al'uwlaa 1419 AH - 1998 AD.

71. Makat wa Almadinat fi Aljahiliat waeahd Alrasul Salaa Allah Alayh wa salama, li Ahmad Ibrahim Alsharif, alnaashir : dar alfikr alearabii.

72. Alminhaj Sharh Sahih Muslim bin Alhajaji, li Abi Zakariaa Yahyaa bin Sharaf bin miri alnawawii, alnaashir : dar 'iihya' alturath alearabii - Bayrut , altabeat altabeat althaaniat , 1392AH.

73. Alwafat li Ahmad bin Shueayb bin Ali Alnasayiyi Abu Abd Alrahman, t(303)AH , tahqiqu: Muhamad Alsaeid Zaghlul, alnaashir maktabat alturath al'iislami, Alqahirati.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧١٤
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٧٢٣
خطة البحث	٧٢٥
الدراسات السابقة	٧٢٧
الفصل الأول: سبل مواجهة الهزيمة النفسية عبر تاريخ الأمة الإسلامية حتى زمن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–	٧٣٠
المبحث الأول: مواجهة الهزيمة النفسية في غزوة أحد، عقب إشاعة خبر استشهاد النبي– صلى الله عليه وسلم–	٧٣١
المبحث الثاني: مواجهة الهزيمة النفسية في غزوتي (حُنين، والأحزاب)	٧٤٨
المبحث الثالث: مواجهة الهزيمة النفسية عقب حادث الإفك وكعب بن مالك في قصة "الثلاثة الذين خلفوا".	٧٥٧
المبحث الرابع: سيدنا أبو بكر الصديق ومواجهة الهزيمة النفسية (عقب وفاة النبي ﷺ) ، ومواجهته للمرتدين ممن منعوا الزكاة ، وتركوا الصلاة.	٧٨٤
المبحث الخامس: سيدنا عمر بن الخطاب ومواجهة الهزيمة النفسية: (عام الرمادة)،و (طاعون عمواس) .	٨١٤
الفصل الثاني: سبل مواجهة الهزيمة النفسية في شأن (بعض أفراد الأمة).	٨٣٢
الخاتمة.	٨٦٥
فِهْرِس المصادر والمراجع.	٨٧١
فِهْرِس الموضوعات.	٨٩١